الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت
أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله
من ولي ولا نصير (120) سورة البقرة

محور العدد

الدِّينُ والتَّجْدِيد

- التغيير في إشكالية الاصلاح / التجديد بالمغرب خلال القرن 13هـ/ 19م.
- الدين والتجديد
- وقفات مع محمد أركون من خلال إنتاجه وفكره

الهدى

السنة الخامسة

العدد 14

رمضان ـ ذو القعدة 1406

ماي - يوليوز 1986

الثمن : 5 دراهم

Al HOUDA

ملف خاص عن رمضان

كاريكاتوريات





المستقبل، العدد ٣٠، ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٧٧

التضامن العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدى

مجلة
إسلامية جامعة تصدرها جمعية
جماعة الدعوة الإسلامية بفاس

المدير المسؤول: المفضل فلواتي
العنوان: حي عز الله - زنقة ٢
رقم ١ - شارع الموحدين - فاس

العدد الرابع عشر
رمضان - ذو القعدة 1406
ماي - يوليوز 1986

الثمن : 5 دراهم

رقم الايداع القانوني : 26 - 1982

مطبعة الصومعة
10، زنقة بكين (حي المحيط) - الرباط
الهاتف : 91-207 / 67-314

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه
المقالات التي لم تنشر لا ترد

كلمة

لم يكن المسلمون - ولا يزالون - يفرحون بشيء يعدل فرحهم بمواتاة فرص التنافس في البر، والتسابق إلى الخيرات والاقبال على الله بالطاعة وادخار الصالحات من الأعمال، بقلوب سليمة بريئة من الهوى والنفاق والرياء وحب الظهور.

ولم يكن المسلمون أيضا يتأسفون على شيء فاتهم يعدل تأسفهم على فوات فرصة أتاحها الله لبعض عباده فحرموا منها، ولكنهم كانوا يتخذون من ذلك زادا لشحذ الهمة على اغتنام الخير في أول فرصة قادمة، والله عز وجل رحمة بعباده الحريصين على اغتنام الفرص جعل مواسم الخير وفرص التسابق إلى الطاعة واقتناص الرضى متاحة في كل وقت وحين، سواء على صعيد الأزمان والظروف أو على صعيد المواقف واتخاذ القرارات الحاسمة فيما يعرض من المستجدات التي تفصل بين الحق والباطل.

وشهر رمضان أكبر موسم سنوي من مواسم الرحمة والمغفرة الالهية التي جعلها الله عز وجل حبلا ممدودا بينه وبين عباده لتدارك المقصر ما فاته، وازدياد المقبل تفانيا في اقتناص مرضاته، فهو المنحة الربانية التي يعتبر الفائز بها فائزا بكل شيء، والمحروم منها خاسرا لكل شيء.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يحث صحابته على اغتنام الفرص التي تعظم فيها العبادة، ويتضاعف فيها ثواب الطاعة، وتفتح فيها أبواب المغفرة، ويتنزل فيها فضل الله ونصره وتأييده للمومنين المستضعفين الاعزاء بالله ومعه، فكان ﷺ يقول لهم: «ألا ان لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها». ورمضان أعظم نفحة ربانية ينبغي للمسلم ان يتعرض لها وألا تفوته، ولهذا قال ﷺ: «ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فان الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل».

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر، فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه؟ قال: إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال: بُعْدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين». رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد، ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة.

فيا لشقوة من حرم لذة الصيام، ونعمة التقرب إلى الله بالجوع والظمإ، ويالخسارة من أدركه شهر القرآن وفاته بدون أن يسجل له فيه حسنة، ولا أن تكتب له فيه طاعة، ويا لمصيبة أمة تنتسب إلى الاسلام ببعض أفرادها الذين لا يصبرون على هجر لفافة التبغ، وجرعة الشاي أو القهوة بضع ساعات، ليروضوا انفسهم على ممارسة أخلاق الرجولة الحقة، في مدرسة الجهاد والصبر لاعلاء لواء الحق وضاحا بين ألوية الباطل والكفر والطغيان.

فلنترك هؤلاء من حيث تركهم الله خزايا عرايا أمام التاريخ الناطق والصامت في الحياة الدنيا، ﴿ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾. ولنتوجه إلى الصائمين القراء الكرام الأبرار مهنئين بهذا الشهر المبارك الذي أظلنا قائلين:

أيها الصائمون هذا شهركم، وهذه فرصتكم، فأروا الله من خضوعكم وطاعتكم وتبتلكم في محراب شهر رمضان ليرضى عنكم ربكم ويباهي بكم ملائكته، ويدخر لكم ما تقر به أعينكم يوم تلقونه راضياً عما لاقيتموه من عنت الجوع، وكابدتموه من حرارة الظمإ، وما بذلتموه من الصبر على المكاره، وعن الشهوات التي انهارت أمامها نفوس عباد البطون والشهوة، فهنيئا لكم بهذا الشهر، وبارك الله صيامكم، وتقبله منكم وأعاده عليكم بالنصر المبين، والعزة للمومنين الذين لا يعتزون بشيء قدر اعتزازهم بدينهم، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، آمين ■

فلنسالم الاسلام أولا

انعقد بمدينة تطوان ـ خلال أيام : 16 ـ 17 ـ 18 رجب 1406 ـ ملتقى ثقافي اسلامي تناول فيه المحاضرون والمشاركون ـ مشكورين مأجورين إن شاء الله تعالى ـ عدة جوانب هامة من الموضوع المطروح للبحث والمناقشة وهو «الاسلام دين السلام».

وبقطع النظر عن سلامة الهدف النبيل المعلن الذي توخي المشرفون على تنظيم الملتقى تحقيقه من وراء تنويع المحاور الهادفة إلى إبراز مزايا الاسلام من حيث هو دعوة للسلام النفسي والاجتماعي والدولي، ومن حيث هو دعوة للجهاد من أجل تأصيل روح السلام في الأفراد والأمم، وردع البغاة العابثين بقيمه ومبادئه.

وبقطع النظر عما أثاره اختيار الموضوع من جدل داخل الملتقى نظرا للظرف الراهن الذي تجتازه الأمة الاسلامية من وهن داخلي وخارجي من جهة، وتظافر جهود خصوم الاسلام للقضاء عليه من جهة أخرى، وكل ذلك لا يتناسب وطرح هذا الموضوع في هذا الظرف بالذات، إذ ربما يمكنه أن يساهم في زيادة تخدير الأمة وقتل روح الجهاد فيها، وهو مايسعى الأعداء إلى تحقيقه، وإخماد جذوته.

بقطع النظر عن كل ذلك وغيره فإن الذي يهمنا تناوله في هذه العجالة هو جانب واحد نعتقد أنه لم ينل من المحاضرين والمتدخلين ما يستحقه من العناية والاهتمام بصفته حجر الزاوية في البناء الهرمي لأهداف الملتقى. هذا الجانب هو جانب المصداقية في كل ما قيل وسمع ونوقش، باعتبار أن المسلم مسؤول عن سمعه وبصره وفؤاده ولسانه وعمله، وباعتبار أن المسلم بالنسبة إلى غيره يعتبر إماما في الحرص على تطبيق مبادىء الدين الموحية كلها بالسلام الشامل في الحال والمآل، واعتبار أن المسلم الذي يؤمل فيه أن يدعو غيره إلى دين السلام ينبغي أن يكون سلوكه حجة مؤازرة له تغنيه عن الكثير من الشرح والتفصيل، وتطوي له الكثير من المراحل.

فهل نحن ـ المسلمين جميعا ـ كذلك؟ : أي هل نحن ـ أمة الوسط ـ التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس سائرون على المنهج الذي رسمه الله لنا من فعل للمعروف وأمر به، واجتناب للمنكر ونهي عنه، وإيمان بالله ربا حاكما، ومشرعا حكيما؟.

الواقع الأليم لأمتنا يشهد بأننا لسنا كذلك. بل وبأننا عكس ذلك تماما، وهذه بعض الأدلة الناطقة بالانحراف الخطير عن منهج العلي الكبير:

ـ قال الله تعالى : ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون، فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون﴾. المومنون: 52 ـ 53.

أنظر إلى الخريطة الاسلامية تر العجب العجاب، وتأمل مناطق الصراع والتطاحن البارد والساخن تر ما يندى له الجبين، الكل يكدس الأسلحة ويملأ الدهاليز بالمدمرات لجاره وأخيه، وأنصت إلى وسائل الاعلام تسمع ما يستحيي الشيطان من ذكره ـ إن كان للشيطان حياء ـ فأصبحت الأمة التي أرادها الله في شرعه أن تكون واحدة موحدة، دولا ممزقة ومتفرقة.

- وقال عز من قائل ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن ياتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون**﴾ - الزمر: 55 - فضربت الأمة بأمر ربها عرض الحائط، واتبعت أردأ ما وضع لها من المصائد الشيطانية، والتيارات الماحقة لكيانها، الحالقة لدينها.

- وقال عز وجل ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**﴾ -المائدة: 49 - ولكن الأمة المخدوعة المفككة الأوصال حكمت بما وضع لها فلان، وما خطط لها علان.

- وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ - المائدة: 51 - فصار سادة الأمة المشلولة يوادون من حاد الله ورسوله والمومنين، مبتغين العزة عند من أذله الله بكفره، وأخزاه بظلمه وعدوانه، ورضوا بأن يكونوا أذيالا للشرق أو الغرب، بينما دينهم أراد لهم أن يكونوا أئمة يهدون القياصرة والأكاسرة بإذن ربهم.

هذه فقط بعض الأمثلة أتينا بها للتدليل على مقدار البعد الكبير الذي بيننا وبين إسلامنا، ويبقى بعد ذلك أن نتساءل عمن هو المسؤول عن جر المسلمين إلى هذا الواقع الأليم الذي أصبح فيه سادتنا وكبراؤنا يستجدون السلام على أعتاب «الأقوياء» الذين لا يرضون حتى بفتح أبوابهم في وجوههم، بينما دولنا تعد بالعشرات، وملايينا تعد بالمئات، ومع ذلك فأصواتنا لا تكاد تجاوز حناجرنا، لخفة ثقلنا في عرف الأقوياء وموازينهم؟.

إن الجواب صعب، وتحديد المسؤولية في جهة من الجهات أصعب وأخطر، ولكن الذي لا شك فيه أن كل شريحة من شرائح المجتمع الاسلامي تتحمل قدرا غير قليل من المسؤولية بحسب وضعها الاجتماعي الذي وضعها الله فيه.

فالذين وضعهم الله على رأس المجتمعات الاسلامية، ولم يسيروا فيها وبها وفق القواعد الاسلامية الحضارية التي أحسن الراشد الأول التعبير عنها عندما قال: «وليت عليكم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أنا زغت فقوموني» يتحملون نصيبا غير قليل من المسؤولية

ويعظم النصيب أكثر فأكثر إذا جعلوا لأنفسهم هدفا غير الهدف الذي رسمه الله تعالى لكل مستخلف حيث قال: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ - الحج: 41 -.

والعلماء الذين فرطوا في إرثهم النبوي، وعطلوا رسالتهم، حتى غُلبوا على أمرهم، ولم يبقوا نجوما تنير درب الحائرين، وروافع للساقطين المتهافتين، ورضوا بأن يكونوا أدوات تصديق وقد جعلهم أدوات رصد وتصحيح الانحرافات، هؤلاء غير مبرئين من المسؤولية

والذين انتدبوا أنفسهم للدعوة إلى الله بغير علم، ولا حكمة، ولا وعي بظروف العصر ووسائله ومتطلباته، يحملون قدرا غير قليل من المسؤولية في تنفير الناس من الاسلام وعزوفهم عنه.

والجماهير الاسلامية التي تنازلت عن حقها في الرقابة والتقويم لكل اعوجاج، وأهملت واجبها في حراسة الدين وصون منائره، وسمحت لنفسها أن تعيش راضية بالتصفيق والتأمين، تحري وراء كل ناعق يمتطيها من أقصى اليمين أو أقصى اليسار، غير معفاة من المسؤولية، خصوصا وأنها المعنية بالقضية كلها، فهي المستغلة دائما، وهي الغارمة أبدا، وهي المخدوعة في كل الأحوال، وهي - بدون إسلام - الخاسرة لكل شيء.

كنا نود لو ركز المتلقي على هذه النقطة بالذات - نقطة المصداقية - والعوائق التي تحول دون ذلك؛ لأننا نجتاز فترة دقيقة من تاريخنا الحافل بالمفاجآت، إنها فترة ومرحلة وضع النقط على الحروف، وتحديد المسؤوليات، ومراجعة أنفسنا

جميعا، فقد وصلنا إلى نقطة أن نكون أو لا نكون، والمرء عندما يصل إلى هذه المرحلة عليه أن يتجرد من جميع خلفياته وحساباته الخاصة، لأن الخطب إذا عم طم.

وهذا التحديد للمسؤوليات ليس المقصود به التشهير والاسقاط والادانة لطرف على حساب الطرف الآخر، فذلك ليس من أخلاق المصلين، ثم إن ذلك لا يغير واقعا، ولا يقدم قضية، ولا يرفع همة، ولا يمحو ضيما، ولا ينشىء تآلفا ولا تعاونا ولا تكاملا. ولكن المقصود بهذا التحديد وهذه المراجعة أن يتبين كل طرف نصيبه من المسؤولية، ويتصور الدور الكبير الذي عليه أن يقوم به في المرحلة التالية: مرحلة البناء وتجاوز السلبيات، والعزم على ردم الحفر، والقضاء على سوء الظن وأسباب الحذر والتوجس، ومد جسور الثقة وروابط المحبة محل الشقاق والتحكم بغير حق مشروع، وكل ذلك تحت الوحي الالهي المنهض **﴿إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾** ـ الأنفال: 38 ـ.

إن المرحلة تحتاج إلى حسم مشترك بين جميع العناصر الخيرة ـ على أي مستوى من الخيرية ـ في الأمة الاسلامية كلها، فالطريق طويل، والمعوقات جاهزة، والخصوم كثير، وقد قطعوا أشواطا بعيدة في التهديم، ولن يملوا أو يفتروا، فذلك دأبهم **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾** ـ البقرة: 217 ـ.

ليس هذا بمخيف ما كانت قلوبنا متجاوبة مع وعود الاسلام، ومتفاعلة مع مبشراته، فالله الذي امتن على القلة المومنة المستضعفة بالنصر المتنزل من عنده **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾** ـ الأنفال: 26 ـ قادر على أن يمتن بنصر جديد لعباده إذا ما حققوا في أنفسهم شروط النصر، وبدأوا من الخطوة الأولى. والخطوة الأولى تبدأ من الاستعداد الكلي الصادق للحسم في الانتماء للاسلام، والولاء لله ورسوله والمومنين، وأن نقول بقلب واحد ـ رعاة ورعايا، زعماء وأحزابا، . . . . ـ لرب العزة الذي قال لنا **﴿ورضيت لكم الاسلام دينا﴾** ـ المائدة: 3 ـ، نقول: مرحبا بالاسلام حكما، ومرحبا بالاسلام معتصما وملاذا، ومرحبا بالاسلام نظاما، ومرحبا بالاسلام نسبا وانتماء، ومرحبا بالاسلام اعتزازا وافتخارا، ومرحبا بالاسلام سلاما في الحال والمآل.

إذ ذاك فقط يمكن لقافلتنا أن تنطلق ناشرة الأمن والاسلام في ربوع العالم، وإذ ذاك يمكن لكلامنا أن يجد صداه، ونصبح ثقالا بالحق في ميزان الله القادر على إلانة القلوب واخضاع الرقاب لتقبل كلمة الحق واحتضانها والموت في سبيلها.

أما محاولة تصدير السلام الإسلامي إلى غيرنا، وديارنا حربة منه تشكو إلى الله ما عمها من الفتنة والفساد، والظلم والاستبداد، فإن ذلك لن يكون إلا حجة جاهزة في يد الأعداء والجاهلين بالاسلام على أن هذا الاسلام عجز عن قيادته البشرية إلى شاطىء السلام المنشود، إذ لو كان قادرا على صنعه لصنعه بين الدول والمجتمعات المنتسبة إليه، أو المحسوبة عليه بهتانا وافتراء.

وإن محاولة قراءة السلام الاسلامي بالمنظور الاستعماري لتطبيعه مع الاستسلام والرضوخ لروح المدنية المادية سوف لا يزيد أمتنا إلا ضياعا وتشتتا، وتميعا وانحلالا، وضعفا وتخاذلا، واعترافا صريحا بالهزيمة المرة لأمة الهدى والرشاد، أمام محافل الطغيان والفساد.

وأخيرا إن الملتقى الثقافي الإسلامي بتطوان كان ممتعا جدا بما قدم فيه من عروض علمية رزينة، وبما ساده من تدخلات جادة وصريحة، لا يشوبها حجر أو وصاية أو تحكم، ولكننا فقط حرصنا في هذه العجالة على أن نقرأه من الجهة الأخرى، ليتكامل الموضوع، وتوتي الجهود التي بذلت ثمارها، من إعطاء المصداقية لما قدم بالعمل والمعاناة وإزالة الحواجز أمام الصحوة المنطلقة بإذن الله تعالى، والمؤذنة تباشيرها بالخلاص القريب إن شاء الله تعالى من الحرب المعلنة على الاسلام من أهله الحاملين لأسمائه وألقابه وشعاراته. وعسى أن يكون الصلح مع الإسلام والسلام مع شريعته قريبا ■

دراسة

التغير في إشكالية الإصلاح/التحديث بالمغرب خلال القرن 13هـ/19م

الأستاذ أحمد العماري

تعتبر عملية الاصلاح / التجديد، أو التحديث/التمدين (اكتساب المدنية الحديثة)، من العمليات التي فرضت نفسها على المغرب ـ كباقي شعوب العالم الاسلامي ـ منذ النصف الثاني من القرن 13هـ/19م على الأقل. وقد فرضت نفسها كضرورة مذهبية (إيديولوجية) أولا لمواجهة التهديد الخارجي، فهي عقائد يا كانت قد أصبحت ضرورة للدفاع عن النفس، كما فرضت نفسها كضرورة لاعتبارات مصلحية وواقعية.

وفي إطار الواقعية هذه، ينبغي أن نعرف أن عملية التحديث سواء بالمغرب أو غيره، رافقت الغزو الاستعماري الأوربي الحديث وبدأت معه. فالاستعمار كيفما كان الأمر يعتبر عنصراً في عملية التحديث، سواء كسبب أو كفاعل موجه.

وعلاقتنا بالاستعمار علاقة تاريخية عريقة تقوم على نزاع (عقدي ـ حضاري) قوي، لدرجة أن تطوره التكنولوجي الحديث مرتبط بهذا النزاع، وعملية انتشاره الاستعماري في التاريخ الحديث مرتبطة بهذا النزاع أيضاً، وغزوه واستعماره لنا مهما كانت أسبابه الحديثة المتولدة مع المصالح المتجددة فإن خلفيته الحقيقية خلفية تاريخية (عقدية ـ حضارية).

وعليه، فعملية التحديث كعملية مرافقة للاستعمار لم يلتفت إليها الباحثون المسلمون من مختلف التخصصات لدراستها دراسة عملية حقيقية من منطلق المرافقة هذه، وتشخيص أسبابها ووسائلها وأهدافها، وذلك لمعرفة البعد التغييري فيها، وكيف تسير منذ بدايتها إلى الآن للوصول إلى هذا البعد (الهدف) التغييري. وكيف يمكن المحافظة عليها (في إطارها العلمي والمهني المتطور باستمرار)، مع تخليصها في نفس الوقت من أسباب التغيير القاتلة لذاتيتنا، أو من العوامل المسببة لضعفنا واستغلالنا. أي تخليصهامن **خلفية العداء التاريخي**.

ونحن في هذا الموضوع الخاص بالمغرب، نحاول أن نضع الأساس العريض المبسط لمشروع هذه الدراسة، نركز فيه على محاولة كشف مظاهر التغيير التي كانت مقاصد أساسية لدى الاستعمار في عملية التحديث بالمغرب، سواء المقاصد التي كانت ظرفية وتغيرت مع الزمن، أو المقاصد الثابتة التي لا تتغير مهما تطورت الظروف الزمنية، مع العلم أننا لن نستطيع حصر مظاهر هذا التغيير في موضوع محدود بالمكان والزمان كهذا أو نتوسع فيها.

دوافع التحديث

يعتبر النصف الثاني من القرن الماضي (13هـ / 19م)، المرحلة التي ظهرت فيها ملامح الانقلاب الذي ستعرفه الأمة المغربية في مظاهر حياتها وعقليتها وأخلاقها بشكل عميق مع بداية عملية التحديث واكتساب المدنية الجديدة. وقد عبرت عدة كتابات مغربية وأجنبية عن هذا الانقلاب، ولاحظته ملاحظة حقيقية(1).

وعملية التجديد / التمدين هذه رافقتها منذ البداية وطيلة النصف الأول من القرن العشرين، تطورات سياسية واقتصادية وفكرية، كانت كلها تخدم مقصداً واحداً هو: إنتاج عقلية استهلاك المدنية، لما تحققه هذه العقلية من تبعية لمفهومها العام في البداية، لتنتهي التبعية على أساس نفس العقلية إلى إندماج في النهاية.

عملية التجديد / التمدين (التحديث) هذه، أطلق عليها الدارسون مجموعة من المصطلحات مثل: **الاصلاح ـ التجديد ـ التحديث**... كما أطلق عليها بعض رواد الفكر الاصلاحي من علماء المغرب المعاصرين لبدايتها مصطلحات مماثلة تقريبا مثل: النظام ـ التحديث ـ الاستعداد ـ التعبئة ـ الاصلاح.

والاصلاح هو المصطلح الذي تدخل تحته مضامين جميع المصطلحات السابقة الأولى منها والثانية، لذلك وظفته الحكومة المغربية (المخزن) آنذاك كشعار لعملية التجديد/التمدين. وسخره الاستعمار كمصطلح مشترك يتفاهم معها به، وتعمم مصطلح الاصلاح حتى أصبح شعار الجميع.

وعلاقتنا بالاستعمار علاقة تاريخية عريقة تقوم على نزاع (عقدي ـ حضاري) قوي، لدرجة أن تطوره التكنلوجي الحديث مرتبط بهذا النزاع، وعملية انتشاره الاستعماري في التاريخ الحديث مرتبطة بهذا النزاع أيضاً، وغزوه واستعماره لنا مهما كانت أسبابه الحديثة المتولدة مع المصالح المتجددة فإن خلفيته الحقيقية خلفية تاريخية (عقدية ـ حضارية).

وهكذا أصبحت فكرة الاصلاح / التحديث مشروعاً ملحاً لدى المسؤولين المغاربة في النصف الثاني من القرن 13هـ/19م لأسباب أساسية منها:

1 ـ **الهجوم الاستعماري الأوربي المفاجىء للمغرب في القرن 13هـ/ 19م**: فلم يكن هذا الهجوم مفاجئاً من حيث تاريخه (ق 13هـ/ 19م) إذ ليس هو الهجوم الأول من نوعه، بل كان واحداً في سلسلة طويلة من الهجومات انتهى بعضها باحتلال اجزاء منه، كانت سبتة ومليلية.. بعض تلك الأجزاء التي بقيت ـ وما تزال ـ من ذلك الاحتلال الذي يرجع تاريخه إلى بداية القرن: 9هـ/ 15م. ولكنه كان مفاجئا من حيث طبيعته، فهو ليس هجوماً عسكرياً فقط هذه المرة كما كان في الماضي، ولكنه هجوم الحضارة والمدنية الأوربيين معززتين بالهجوم العسكري. لذلك لم يكن المغاربة يتوقعونه بتلك الصورة المذهلة نتيجة نومهم العميق وانعزالهم الشديد. كما أنهم لم يفهموا منذ البداية طبيعة هذا الهجوم، بل هناك إلى اليوم من لا يزال يجهل طبيعته، إلى درجة أنه يمكن تصنيف المذهبية (الايديولوجية) التي تدعى بالتقدمية من هذا النوع الذي يجهل أو يتجاهل طبيعة ذلك الهجوم.

2 ـ **ضرورة اكتساب القوة والوسائل المتطورة الحديثة**، باعتبار أن القوة مطلوبة في الاسلام للدفاع عن النفس، أي لمواجهة التهديد والتغلغل الأوربي، أو للدفاع عن دار الاسلام، والقيام بتبليغ الدعوة الاسلامية لمختلف شعوب العالم من جهة. ومن جهة ثانية فإن الوسائل المدنية تساهم في تحسين حالة المسلمين، وتيسير أسباب الحياة كلها وتثميرها تثميراً كثيفاً وتبسيط مشاكلها.

3 ـ **لأن التحديث عملية تمدينية فقط متعلقة بالمظاهر المدنية المادية للعيش**، والمظاهر المدنية كالتجارة مشتركة بين الانسانية إذا كانت خالية من الاستغلال والغزو. وحول هذه المبررات الثلاث دارت مجموع فتاوي العلماء(2) الذين شاركوا في الكتابة حول مشروع عملية الاصلاح التحديث.

لهذه الأسباب تقرر مشروع التحديث بالمغرب خلال النصف الأخير من القرن الماضي، غير أن الاستعمار الأوربي تبناه أو ركبه ونصب نفسه طرفا فيه، واستغل المشروع أخطر استغلال ـ ومازال يستغله إلى الآن ـ وحوله في اتجاهين أساسيين هما:

- الاستغلال بمفهومه الواسع الشمولي.
- التغيير بالمفهوم العقدي والحضاري للكلمة.

وقد رافق التغيير عملية التحديث هذه بطريقتين:

- **التغيير الآلي**: (**بطريقة آلية** Automatique).
- **التغيير بالممارسة** (بالفعل).

محاولة التغيير بالممارسة

ينبغي أن لا نفصل الحركة الاستعمارية الحديثة عن جذورها التاريخية، بل ينبغي أن نعرف أن هذه الحركة الاستعمارية الحديثة قامت وتطورت على أساس الخلفية التاريخية أساسا. كما أن تفسير التاريخ بعيدا عن هذه الخلفية يعتبر تفسيراً مزيفاً مضللا.

فغير خاف أن ظهور الاسلام جعل شعوب الجامعة المسيحية ـ كاليهودية ـ يعتبرونه منذ ذلك التاريخ ـ وإلى الآن ـ عدوهم الأول. كما يوضح ذلك القرآن الكريم بتفصيل: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾(3). ومن أجل ذلك واجهوه بكل ما أوتوا من قوة واستعداد. وقد انتهى الأمر في المواجهة الأولى بانتصار الاسلام في جولتين تاريخيتين كبيرتين: الأولى خلال الفتوحات الاسلامية. والثانية خلال الحروب الصليبية.

ويظهر أن الحروب الصليبية كانت فرصة تاريخية نادرة ومرحلة تحول في تاريخ شعوب الجامعة المسيحية، اكتشفت فيها هذه الشعوب نفسها، فأدركت أسباب ضعفها من جهة، وتنبهت إلى أهمية عامل القوة من جهة أخرى، فأخذت تبحث عن عنصر القوة، فقادها ذلك إلى اكتشاف مناهج وأسرار التطور المادي، وعلى أساس هذا الاكتشاف أدركت العلاقة بين عنصر المدنية وعنصر المذهبية (الايديولوجية) في الادماج الحضاري للشعوب والتبعية. وكان عنصر الثروة في هذا البحث أول العناصر التي تم اكتشافها في البحث عن القوة، وهو إلى جانب الخلفية التاريخية من الأسباب الأولى للكشوفات الجغرافية.

فمن خلال المعطيات الأولى للكشوفات الجغرافية قرر رواد البحث العلمي في عصر النهضة أن القوة هي الثروة (**القوة = الثروة. الثروة = المعدن النفيس**). واعتبروا الثروة هي المعدن النفيس من الذهب والفضة. كما اعتبروا أن كمية المعدن النفيس محدودة في العالم، وأنه كلما حصلت دولة على أكبر كمية منها اكتسبت قوة على حساب قوة الدولة التي تفقد منها تلك الكمية.

وبالمقابل اعتبروا العالم الاسلامي بحكم موقعه الجغرافي الذي يتوسط العالم هو الذي يسيطر على تجارة العالم، وبالتالي يحصل منها على كمية هامة من المعدن النفيس أي من الثروة التي هي القوة حينئذ، ولاضعافه ينبغي انتزاع هذه الثروة القوة منه، وهذا ما جعل دول الجامعة المسيحية تقرر تطويقه وعزله عن تجارة الشرق الأقصى وإفريقيا. فكانت هذه النظرية هي التي دفعت دول أوربا الغربية إلى الانتشار في العالم خلال حركة الكشوفات التي رافقتها الحركة الاستعمارية الأولى.

كانت خطة الكشوفات الجغرافية خطة اقتصادية عسكرية، وكانت الدول الايبيرية (الاسبان والبرتغال) أكثر الدول إهتماماً بالخطة العسكرية، مما جعلها تقتسم الغرب الاسلامي في اتفاقية (توردوزلاس) تحت اشراف البابا خلال القرن 15م. وبذلك اتجهت البرتغال جنوباً عبر السواحل الافريقية، بينما اتجهت إسبانيا شرقاً عبر سواحل المغرب العربي على البحر المتوسط وفق ما نصت عليه الاتفاقية المذكورة. وقد فشل المشروع العسكري الايبيري لأسباب منها:

1 - انهزام الاسبانيين أمام القوة التركية الاسلامية التي ظهرت في الحوض الغربي للبحر المتوسط في هذه الفترة بالذات (ق 10هـ/16م).

2 - انهزام البرتغاليين انهزاما ساحقا على يد المغاربة في معركة واد المخازن.

3 - اعتقاد الايبيريين نظرية الثروة هي القوة

4 - انشغال الايبيريين وزيادة اهتمام بأمريكا الوسطى والجنوبية نتيجة الأرباح التي اكتشفوها هناك

5 - زيادة التنافس على الأرباح في العالم الجديد بين دول الجامعة المسيحية على اثر اهتمام بقية الدول الأوربية بعملية الكشوفات.

6 - اقتناع دول الجامعة المسيحية آنذاك باستحالة غزو العالم الاسلامي إلا بعد إضعافه وتفتيت شعوبه جيو - سياسيا، والقضاء على فكرة الجامعة الاسلامية عنده، وقتل عقيدة الجهاد فيه

ظلت فكرة الثروة هي القوة عند دول الجامعة الأوربية إلى الآن، ولكن فكرة الثورة تطورت نسبيا مع الزمن.

ففي القرن 12هـ/18م قرر أصحاب **المدرسة الطبيعية** بأن الثروة ليست هي المعدن النفيس وحده، وإنما هي **«الانتاج الجديد»**، واعتبروا أن الانتاج الحقيقي الجديد هو الانتاج الزراعي

ولكن سرعان ما تغيرت هذه النظرية في نهاية نفس القرن على يد رواد **المدرسة الكلاسيكية** (الذين عاصروا الثورة الصناعية) والذين قرروا بأن الثروة هي: **«تحقيق المنافع أو زيادتها»**، وبذلك عمموا فكرة الثروة على جميع المصادر الاقتصادية، فأصبحت الثروة هي تحويل المعادن إلى مواد صناعية وهي الانتاج الزراعي، والنشاط التجاري للحصول على المعادن النفيسة وغيرها. وقد عاصرت هذه النظرية الثورة الصناعية التي واكبها انطلاقة جديدة نحو الاستعمار.

بين حركة الاندفاع الأولى التي فشلت في تحقيق أهدافها تحقيقاً كاملا خلال القرن 10هـ/16م، وحركة الاندفاع الاستعمارية الثانية خلال القرن 13هـ/19م اهتمت دول الجامعة الأوربية طيلة القرون الثلاثة التي تتوسط الانطلاقتين بجمع الثروة والتنظيم الاقتصادي والعلمي والبناء الداخلي. واعتمدت طيلة الفترة بين الانطلاقتين على سياسة التفريق بين الشعوب الاسلامية نظراً:

1 - لكون أسلحتها لم تكن تتفوق على أسلحة العالم الاسلامي تفوقاً كبيراً.

2 - ولكون وسائل المواصلات كانت عندها ما تزال ضعيفة ومتأخرة.

3 - ولاهتمامها الشديد بجمع الثروة. وهذا ما جعلها تعتمد سياسة التفريق بين الأمراء المسلمين، مثلما فعلت بين الأتراك والمغاربة، والأتراك والفرس، والفرس والأفغان، والأفغان والمغول في الهند وهكذا... وكانت هذه السياسة أحيانا لا تتخذ أسلوب المناورات والدسائس الديبلوماسية بل طريق المواجهة الصريحة، كما فعلت فرنسا في القرن 10هـ/16م عندما واجهت السلطان التركي وحذرته من إقامة دولة متحدة بشمال إفريقيا تحت زعامة خير الدين أو إسه حسن، واعتبرت ذلك تهديداً لها(4).

ولكن مع الانطلاقة الثانية لحركة الاستعمار في القرن 13هـ/ 19م كانت الأمور قد تغيرت: فقد ظهر بجلاء ضعف المغرب - وبقية العالم الاسلامي - ضعفا شديدا. وحدثت الثورة الصناعية التي وفرت انتاجا جديدا من الأسلحة المتطورة ووسائل النقل الضخمة القوية، فتهيأت بذلك شروط الانطلاقة الجديدة لدول الجامعة المسيحية ضد المغرب - وبقية العالم الاسلامي -.

كان فولتير (Voltaire) (1694 - 1778م) أول السباقين إلى الدعوة لاحتلال المغرب. فقد قدم في كتابه (محاولة في الأخلاق Essai sur les Moeurs) معلومات حول المغرب الذي ذكر بأن حدوده

وعملية التجديد / التمدين هذه رافقتها منذ البداية وطيلة النصف الأول من القرن العشرين، تطورات سياسية واقتصادية وفكرية، كانت كلها تخدم مقصداً واحداً هو: إنتاج عقلية استهلاك المدنية، لما تحققه هذه العقلية من تبعية لمفهومها العام في البداية، لتنتهي التبعية على أساس نفس العقلية إلى إندماج في النهاية

ويظهر أن الحروب الصليبية كانت فرصة تاريخية نادرة ومرحلة تحول في تاريخ شعوب الجامعة المسيحية، اكتشفت فيها هذه الشعوب نفسها، فأدركت أسباب ضعفها من جهة، وتنبهت إلى أهمية عامل القوة من جهة أخرى، فأخذت تبحث عن عنصر القوة، فقادها ذلك إلى اكتشاف مناهج وأسرار التطور المادي.

تتصل بحدود غينيا، وتحدث عن مناخه الجميل، وثروته الهائلة ومعادنه الكثيرة، مثيرا بذلك في قومه شهوة الثروة. ثم انتقل إلى الحديث بتعصب شديد عن أهله الذين وصفهم بالوحشية، وعن دينهم الاسلامي الذي تحامل عليه بعنف... والدور التاريخي الذي لعبه المغرب في الأندلس... ورد الفعل الايبيري (الاسباني - البرتغال) باحتلاء شواطئه، الذي قال عنه: بأنه رد فعل ضعيف وغير كاف... مستغلا هذه الفرصة ليتأسف على الخلافات الحاصلة بين الدول المسيحية... ثم انتهى إلى الدعوة بهذه المناسبة إلى الاتحاد ضد المغرب وغزوه. وتساءل في الأخير هل سيقوم الاسبان بتوجيه مساعدة عسكرية عندما تقوم فرنسا بغزو المغرب، هل سيتحد الانجليز الذين يحتلون جبل طارق وميورقة مع فرنسا في هذا الغزو؟ وينتهي (.L Hess) في كتابه (المسألة المغربية) من عرض آراء (فولتير) بقوله: لقد كان المشروع الفرنسي حول المسألة المغربية موجودا منذ عهد فولتير»(5).

وبدون أن نستمر في استعراض آراء الذين دعوا إلى ما دعا إليه فولتير من أمثال (باديا) والموسوعيين. (وشارل ديديي) (وماس لتري) و(ليون كودارد) وغيرهم، نكتفي بالاشارة إلى أن دعوتهم ارفقوها بفكرة التحديث (التمدين) كمنهج للعبور منه إلى التنصير(5).

وفعلا بدأ نابليون بونابارت (نابوليون الأول) في الاستعداد لتنفيذ المشروع. فأرسل (دومينكو - باديا) إلى المغرب في مطلع القرن (19م)، كما أرسل الضابط (بوتان) إلى الجزائر، وذلك لاستطلاع المنطقة وتقديم تقرير عن أحوالها العسكرية والاقتصادية والفكرية... الخ. ولما كان (باديا) يحسن العربية، فإنه لما وصل إلى المغرب اتخذ إسمًا مستعاراً هو (علي العباسي) وقدم تقرير مفصلا دعا فيه إلى احتلال الأجزاء الساحلية أولا قبل التورط في الداخل. وهو نفس الرأي الذي قدمه (بوتان) حول الجزائر، والذي عملت به فرنسا عندما اقتصرت على احتلال الأجزاء الساحلية للجزائر ما بين (1830 - 1870) تقريبا. والسؤال الذي قد يطرح هو لماذا اختارت فرنسا النزول في الجزائر قبل المغرب؟.

اختارت ذلك لأسباب سياحية واستراتيجية تتلخص في سببين أساسيين هما:

1 - وجود إسبانيا في شمال المغرب، وبريطانيا في جبل طارق. إلى جانب العلاقات التجارية القوية لهذه الأخيرة مع المغرب، مما يثير مشاكل التنافس بينها وبين الدولتين المذكورتين قد تؤدي إلى حروب تتسبب في تدمير فرنسا.

2 - تمثل الجزائر نقطة في وسط المغرب الكبير، وهي بذلك تسمح بالانتشار البطيء شرقا وغربا على شكل انتشار بقعة زيت (بهدوء وصمت)، فتساعد بالنتيجة على تحقيق احتلال الغرب الاسلامي كله، كما وقع فعلا.

بدأت فرنسا في تنفيذ مشروع التغيير مباشرة بعد احتلالها للجزائر سنة 1246هـ/1830م، فكان المشروع الفرنسي مرفوقاً بالغزو العسكري ومعتمداً عليه، لأنها بالقهر العسكري استطاعت أن تفتح النفسية الاسلامية وترغمها، وتفتح الباب بالقوة والعنف لادخال التغيير على البنية الحضارية الذاتية للأمة الاسلامية وخرق شريعتها، ونقتصر اليوم على ذكر ثلاث مناسبات للغزو العسكري وما رافقها من تغيير، على أننا قد نتوسع في ذلك خلال مناسبة أخرى بحول الله.

أ - إثر احتلال فرنسا للجزائر بادر وفد من علماء وأعيان الجزائر إلى المغرب وقدم بيعة أهالي المغرب الأوسط للسلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، فبادر المغرب حكومة وشعبا إلى مؤازرة إخوانه الجزائريين ضد فرنسا.

وفي نفس الوقت تكونت حركة جهادية بقيادة عبد القادر بن محيي الدين الجزائري الذي بويع كخليفة لسلطان المغرب.

وقعت بيعة عبد القادر عندما نجحت فرنسا في طرد الجيش المغربي بالتهديد والقوة من غرب الجزائر، غير أن المغرب استمر يدعم عبد القادر بالرجال والمال والسلاح إلى أن نجحت فرنسا أيضا بالتهديد والقوة والسياسة في عزل عبد القادر عن المغرب والقضاء عليه في النهاية. وهكذا وصلت فرنسا إثر إحتلالها للجزائر إلى تحقيق الأهداف التالية

1 - استطاعت أن تقضي على نفسية (عصبية) الجامعة الاسلامية عند أهالي المغرب الكبير: فقد أفشلت البيعة التي قدمها الوفد الجزائري لسلطان المغرب، ورافع عنها علماء تلمسان مرافعة فريدة في التاريخ كما هو واضح من نصوصها(7)؛ كما أفشلت التدخل العسكري المغربي لمساعدة الجزائر. وأرغمت سلطان المغرب على تجميد موقفه الذي «يفرضه عليه الدين الاسلامي تجاه رعاياه الجزائريين» حسب قوله(8).

2 - كانت فرنسا تهدف من وراء عزل عبد القادر عن المغرب إلى فك عصبية الجامعة الاسلامية من جهة، وإلى إفشال فكرة الجهاد وقتله باعتباره مبدأ إسلامياً ينبغي إضعافه في نفوس المغاربة من جهة أخرى.

ب ـ بعد احتلال الجزائر قامت فرنسا بغزو المغرب وسحق قوته بهجوم مفاجيء في معركة إيسيلي (4 غشت 1844م) حسب ما جاء في رسالة سرية بعثتها فرنسا إلى بريطانيا قبيل هذا الغزو(9)، فقد كانت في حاجة إلى معركة سريعة كمعركة إيسيلي لارغام المغرب على أمور كان يرفضها رفضا باتا. وهذه الأمور هي التي فرضتها عليه أثر المعركة وهي كالتالي:

1 ـ أرغمته على توقيع إتفاقية الحدود الجيو ـ سياسية لفصل المغرب عن الجزائر وذلك بتاريخ 18 مارس 1845م، وقد عبر رئيس الوفد الفرنسي في مفاوضات الحدود هذه الجنرال* (دولارو) في رسالة بعثها من الجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسي (كنيرو) بتاريخ: 22 مارس 1895 عن ظروف هذا التوقيع والأهداف الفرنسية من هذه الحدود قائلا:

«... إنها نتيجة عظيمة، وأستطيع أن أقول بأن أهدافنا قد تحققت في هذه الاتفاقية، وان جميع شروطنا قد قبلت، وذلك بعدما قمت باقتياد المفاوضين المغاربة حتى حصن للا مغنية تحت أفواه المدافع الفرنسية، ليوقعوا هناك على وثيقة تقسيم الأرض الاسلامية، وأفضل من ذلك كله هو تقسيم شعب مسلم واحد بين إمبراطورية مسيحية وإمبراطورية مسلمة»(10).

2 ـ أرغمته على قبول فتح باب التجارة معها ومع أوربا، وهو ما حاول السلطان أن يرفضه، غير أن المغرب اضطر أن يقبل تجديد اتفاقيات التجارة عدة مرات خلال القرن 19م. وكان الهدف من ذلك هو ما عبر عنه أحد الكتاب الفرنسيين الاستعماريين آنذاك بقوله:

«يجب تشجيع المغاربة على استهلاك موادنا وجعلها في مقدرتهم وفق أحسن شروط... وغزو السوق المغربية جهد المستطاع»(11)

ويضيف: «كما يجب إخراج القبائل المغربية من عزلتها وحياتها التقليدية ودفعها لتعيش ضمن الحياة العامة التي تعيش عليها أوربا»(12).

3 ـ كما أرغمته كذلك على إدخال العملة (النقود) الفرنسية كعملة رسمية في المغرب، وهو إلى جانب كونه غزواً اقتصادياً، فهو غزو حضاري ونفسي يدخل في الاعتراف بالسيادة الفرنسية في المغرب.

4 ـ كما أرغمته على مخاطبة الملك الفرنسي في الرسائل الرسمية وكذلك مخاطبة الديبلوماسيين الفرنسيين بألفاظ عظيمة تليق بمقامهم(13). وكان ذلك طبعا يدخل في صرورة تحطيم نفسية الاستعلاء عند المسلمين على النصارى الكافرين.

5 ـ وضعت حرب إيسلي وإتفاقية الحدود رأس الجسر الذي عبرت منه فرنسا إلى جنوب شرق المغرب (توات)، وذلك في إطار مشروع تطويق المغرب وعزله عن الشرق (الجزائر) وعن الجنوب، عن السودان الغربي الذي كان يمثل القاعدة الأساسية لانطلاق المغاربة في نشر الاسلام عبر إفريقيا الغربية. وهذه مسألة تاريخية هامة جدا وطويلة تحتاج إلى موضوع مستقل بنفسه(14).

ج ـ **أدت حرب تطوان التي انهزم فيها المغرب سنة (59 ـ 1860م) إلى إجباره على عدة شروط كان فيها خرق وتغيير لعدد من المبادىء الشرعية**. من هذه الشروط:

ـ ذعيرة مائة مليون بسيطة التي فرضتها عليه إسبانيا وذلك في اطار اضعافه نهائيا على أساس مبدأ القوة الثروة هي المعدن النفيس كما سلف الذكر.

ـ عجز المغرب عن أداء هذه الذعيرة كاملة أرغمه على الاقتراض من بريطانيا بفائدة، أي بالربا. فاضطر بذلك أن يخرق المبادىء التي كان لا يستطيع خرقها من قبل. (أي ممارسة الربا).

ـ أرغم كذلك على تجديد وتوسيع مشروع الحماية القنصلية لصالح الأوربيين. الشي الذي كانت له عواقب دينية وسياسية واقتصادية خطيرة هي التي عبر عنها (جعفر الكتاني) آنذاك في كتابه (الدواهي المدهية للفرق المحمية). الذي سبق ذكره.

ـ أرغم في إطار هذه الحملة المضادة له على قبول مشروع اصلاح الضرائب، بتغيير الزكوات والاعشار والتوظيفات الشرعية الواجبة بمشروع (الترتيب). **فتم بذلك طمس إسم الزكوات والاعشار وتوقف تداولها، أي طمس ونسيان ركن من أركان الاسلام حتى يتم تجاوزه في النهاية وتوقيف العمل به. وهي وسيلة من أخطر الوسائل الاستعمارية الخبيثة في تهميش العمل بالشريعة تمهيداً لاهمالها ونسيانها ثم تجاوزها. وقد مهدوا لذلك بإفقار المغرب والقضاء عليه اقتصاديا عن طريق الذعائر الحربية والقروض الأوربية وسرقة العملة (النقود) المغربية وتهريبها**. ويظهر ان الدولة المغربية تحت وطأة الأزمة الاقتصادية التي أوقعها فيها الاستعمار لم تنتبه إلى مناورة مشروع «الترتيب» وتوقيف العمل بالزكوات والاعشار والضرائب الشرعية، وإلا فقد كانت غيرة اعضائها على الدين قوية.

هذه فقط بعض رؤوس أقلام لبعض مظاهر التغيير بالممارسة التي دشنها الاستعمار في بداية مشروعه الطويل الذي سيتطور تطوراً خطيراً

بدأت فرنسا في تنفيذ مشروع التغير مباشرة بعد احتلالها للجزائر سنة 1246هـ/ 1830م، فكان المشروع الفرنسي مرفوقاً بالغزو العسكري ومعتمداً عليه، لأنها بالقهر العسكري استطاعت أن تفتح النفسية الإسلامية وترغمها، وتفتح الباب بالقوة والعنف لإدخال التغيير على البنية الحضارية الذاتية للأمة الاسلامية وخرق شريعتها.

خلال القرن الماضي وخلال عصر الحماية الذي استغرق النصف الأول من هذا القرن (1912 ـ 1956) . . .

فلم نذكر في هذا المشروع **عملية التبشير المباشرة** التي كتبت حولها رسائل جامعية. ولا **خطة تصدير الخمور والسجائر بكثافة إلى المغرب** خلال القرن الماضي (ق 13هـ/19م) **والعمل على اشاعتها بين المغاربة مجانا** حتى يتعودوا عليها وينقلبوا في اخلاقهم الاسلامية إلى أخلاق الغزاة(15). ولننتقل إلى القسم الثاني المتعلق بالتغيير الآلي، على أمل أن تكون للموضوع صلة بحول الله.

التغيير الآلـي

. التغيير الآلي عملية منهجية بالأساس كقضية مشروع «الترتيب» مثلا، وقد حدثت نتيجة سببين منهجيين أساسيين.

الأول : ممارسة عملية الاصلاح / التجديد ممارسة مقلوبة لم تبدأ من علوم الحداثة وتعلمها بل من استهلاك المحدثات. وهو قصد هيأله الاستعمار رغم محاولة المغرب تصحيحه.

الثاني : ركوب الاستعمار لعملية التجديد الاصلاح وتوجيهه لها حتى تسير في الخط الذي أراد لها هو كعملية ينبغي أن تحقق الاستغلال والتغيير، وذلك عن طريق خلطه عمداً. وتلبيسه (بين) بمفهومي (حضارة) و(مدنية). بحيث أخذ يتجاوز عملية التحديث التمدين إلى عملية التغيير الحضاري. والمفارقة بين الحضارة والمدنية مفارقة عميقة ودقيقة وخطيرة كما هو معروف.

ـ فالحضـارة هي : «مجموعة الأفكار والمفاهيم عن الكون والـوجـود والحياة والانسـان، كالعقـائد والقوانين والأنظمة والأخلاق والفلسفـة والفن والادب والثقـافة، وأسلوب التعامل. . .» وبصورة أوجز وأوضح : الحضارة عبارة عن : «مجموعة المبادىء والقيم التي تبنى على أساسها الشخصية الانسانية والحياة الاجتماعية وتحديد الرابطة بينهما»(16).

فمجـال الحضـارة هو : «الجـانب الانساني من الحياة» لذلك تختلف مفـاهم الحضـارة وطريقة بنائها للانسان والمجتمع والحياة من حضارة إلى أخرى.

فالحضـارة الاسـلامية واليونـانية أو الـرومـانية أو الرأسمالية أو الشيوعية تختلف فيما بينها بحيث لكل منها أسلوبه وطريقته في كيفية بناء الانسان والحياة.

فطريقة فهم الاسلام للحياة وبنائه للانسان «بما يحمل من أفكار ومفاهيم وعواطف وسلوك، وتنظيمه للمجتمع والعلاقات الانسانية، تختلف عن أسلوب وطريقة الحضارة الرأسمالية أو الشيوعية أو غيرهما من بقية الحضارات، بشكل يجعل من الأسلوب الحضاري يؤثر على حياة الانسـان وتفكيره، فيصبـغ سلوكـه وأسلوب تعامله، ونشاطه الفني والأدبي والثقافي والسلوكي بصبغة معنية تجعل شخصيته ومجتمعه متميزاً عن الشخصيات والمجتمعات التي تضعها الحضارات الأخرى المغايرة».

ـ أما المدنية فقد عرفها الباحثون بأنها : «أسلوب العيش وكيفية الاستفـادة من طاقـات الطبيعة والانسان عن طريق العلوم والتجارة الطبيعية والاكتشافات والاختراعات التي تحقق للانسان تسخير قوى الـطبيعـة والاستفـادة منها، كالصنـاعـات، ووسائل البناء والزراعة وأسلوب الحرب وتنظيم الانتاج وتحسينه، وصناعة الأدوات والآلات المختلفة».

كان فولتير (Voltaire) (1694 ـ 1778م) أول السباقين إلى الدعوة لاحتلال المغرب. مثيراً في قومه شهوة الثروة، واصفا أهله بالوحشية ومتحاملا على دينه الاسلامي. .

فهـذا الجانب الذي تختص به المدنية من الحياة جانب علمي يتمثل في اكتشاف قوانين الطبيعة والحياة وتسخيرها لصالح الانسان في مجال الفلك والطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والزراعة والصناعة . . . الخ.

«فـالفـرق بين الحضارة والمدنية إذن هو: ان الحضارة تتناول الجانب المذهبي من الحياة، بينما تتناول المدنية الجانب المادي منها».

فالحضـارة تحدد للانسـان: كيف يسلك في الحيـاة، وعلاقته بخالق الوجود وبغيره من أبناء نوعه.

والمدنية عبارة عن قدرة الانسان على اكتشاف قوانين الطبيعة والحياة وتوظيفها.

لذا فإن الجـانب المـدني جانب مشترك بين أبناء الانسانية على اختلاف مذاهبهم الاجتماعية وعقائدهم وفلسفاتهم الحياتية، ولا تمييز فيه إلا بقـدر ما تفرضه المفاهيم الحضارية والقيم الاجتماعية لحضارة دون أخرى.

وقـد استغل الاستعمار الأوربي سلطته القيادية،والتوجيهية التي أعطاها لنفسه بالقوة فأخذ ينتقل من عملية التحديث التمديني (تحديث المدنية) إلى عملية التغير الحضاري (المذهبي)؛ فأخذ يمس الأخلاق والقـوانـين والمبـادىء والعـادات والتقاليد والأفكار والعقيدة، ويحاول تكييف حياتنـا شكلا ومضمونا، تارة بطريقة آلية ارتبطت بالتغيرات المدنية، وتارة عن طريق التلقين والفكر، وأخرى عن طريق مجموعة من الاجراءات السلطوية.

والمهم أن الاستعـمار كان ـ كما لا يزال ـ يعمل في خطته على توظيف المفـاهيم(17) المـدنية لتـطويق ثم تغيير المبـادىء الحضارية

(المذهبية العقدية) عندنا. وهذا التوظيف كان يتجه أساساً للتفريغ ثم الملء (الشحن). **أي الغسل ثم الشحن**. لذلك كان يركز في خطته منهجيا على:

1 ـ ضرورة التركيز على حصر المغاربة في الاهتمام بقضية التحديث التمدين وحدها واعتبارها الاهتمام الأول والأساسي في الحياة عندهم حتى تصبح هاجسهم الأول (مع منعهم منها علمياً واغراقهم بها استهلاكيا) وحتى تصبح شوقهم الأول، ويتحقق الانقلاب عندهم من تحكيم الحضارة في المدنية إلى تحكيم المدنية (المادية) في الحضارة (العقيدة).

2 ـ إن لهذا القلب التحكيمي أهميته، لأن تحكيم المدنية وهي مستوردة من أوربا وابنة حضارتها، تحكيمها في الحضارة المغربية يؤدي في النهاية إلى الكفر بالحضارة الذاتية. والكفر بالحضارة الذاتية يؤدي في النهاية إلى التوجه نحو مصدر المدنية الأوربية، أي إلى اعتناق حضارتهم (مذهبيتهم) كما تحقق ونعيشه اليوم بالضبط.

هذه الأطروحة المنهجية في التحديث التحضير (التغير) عند الأوربيين، كان يعيها المغاربة وعيا عميقا ودقيقا خلال القرن الماضي(18)، لذلك حاولوا جميعهم أن يعرضوا نظرية التحديث على المفهوم الاسلامي للتجديد التغير ليمروا آليا إلى التحديث التمدين، ولن أحاول في هذا العرض السريع عرض نظرية التجديد عند علماء المغرب في القرن الماضي. ولكن على هامش ذلك أريد أن أشير إلى منهجية التجديد في الاسلام لتتضح خطورة النهج التحديثي الذي فرض علينا منذ البداية، وتتضح عواقبه بالنتيجة.

مفهوم التجديد ومنهجيته في الاسلام

مصطلح التجديد في الاسلام كمصطلح حضارة بالمفهوم السالف الذكر، مهما حاولنا تجريده فلن نستطيع عزله عن المضامين المذهبية (الايديولوجية) التي يدل عليها، ففي الحديث الشريف: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(19).

والدين في الحديث الشريف هو: الاسلام. والاسلام: عقيدة وشريعة.

- عقيدة أي: حضارة، أي: مذهبية / إيديولوجية كما سلف.
- وشريعة، أي: مدنية.

فالدين إذن في الحديث الشريف يعني الحياة بشقيها المذهبي والمدني. فالدين إذن مصطلح شمولي لمعنى الحياة، بما تعنيه كلمة حياة من حركة وسكون، اعتقاديا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا وأخلاقيا...).

والتجديد في الحديث معناه: تطهير الدين من كل ما علق به من أخطاء عبر الممارسة الزمنية المذكورة في الحديث؛ اخطاء في ممارسة العقيدة، واخطاء في ممارسة الشريعة. أي إعادة تصحيح الممارسة الدينية من جديد بمفهوم التصحيح عند السياسيين اليوم تقريبا.

ومعلوم أن التصحيح السياسي اليوم يكون أولا في الخط المذهبي (الايديولوجي) باعتبار المذهبية تحكم وتوجه التمدين (المدنية). فيكون التصحيح الايديولوجي معناه: تصحيح المنظومة في المفهوم المذهبي والممارسة العملية معا، أي في التصور والممارسة.

فكذلك تجديد الدين (تطهيره وتصحيحه)، يبدأ من تجديد (تصحيح) العقيدة (المذهبية)، لينتهي آليا وممارسة إلى تجديد (تطهير وتصحيح) الشريعة ثانيا. باعتبار العقيدة هي الأساس الذي تقوم عليه الشريعة (المدنية). فالمذهبية هي التي توجه المدنية (الشريعة). **فالمذهبية حاكمة، والمدنية محكومة، وليس العكس. والمدنية خادمة، والمذهبية مخدومة وليس العكس أيضا.**

عجز المغرب عن أداء ذعيرة فرضتها عليه إسبانيا كاملة مما أرغمه على الاقتراض من بريطانيا بفائدة، أي بالربا. فاضطر بذلك أن يخرق المبادىء التي كان لا يستطيع خرقها من قبل. (أي ممارسة الربا).

والتجديد في معناه الأول (المذهبي) يدل على معنى (التغير)، والتغير مصطلح مذهبي أيضا كما هو واضح في قوله تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**(20). وفي قوله عز وجل: **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**(21).

فالتجديد التغير سابقا، والتجديد التمدين لاحقا منهجيا، والترتيب في هذه الأسبقية واللاحقية ترتيب شرطي. لماذا؟.

لأن تحديث المدنية قانون رباني في الخلق لم يتوقف عبر التاريخ. فقد تحدثت (تطورت) المدنية بشكل ثوري مهول منذ العصر الحجري إلى الآن. وشارك في هذا التحديث مختلف الأمم البشرية، وانتقل هذا التحديث من البسيط إلى المعقد، من الفأس والرمح إلى الحاسوب والصاروخ... ومن المراكب المجدافية والشراعية إلى المراكب الفضائية. والذين صنعوا الآلات المعقدة اليوم لم يكونوا هم أول من صنع الآلات البسيطة، بمعنى أن كل جهة في العالم ساهمت في هذا التطور.

ومن القانون الرباني أن التحديث / التطور انتقلُ من البسيط إلى المعقد، ولم نجد العكس مطلقا، فالانسان خاضع لهذا القانون الرباني بحيث لا يستطيع أن يؤلف المعقد قبل أن يؤلف البسيط.

وضعت حرب إيسلي وإتفاقية الحدود رأس الجسر الذي عبرت منه فرنسا إلى جنوب شرق المغرب (توات)، وذلك في إطار مشروع تطويق المغرب وعزله عن الشرق (الجزائر) وعن الجنوب (السودان الغربي) الذي كان يمثل القاعدة الأساسية لانطلاق المغاربة في نشر الاسلام عبر إفريقيا الغربية.

(بمعنى أن المعقد لا يستطيع أن يصل إليه عقل واحد بل مجموعة من العقول...) مما يعطي للتحديث التطور قانونا محكوما بالتسلسلية التاريخية والمشاركة الجامعية. وبهذا لا يمكن تباتا عتاب المسلمين على كونهم لماذا لم يخترعوا السيارة مثلا في أوج ازدهارهم الحضاري. لأن ازدهارهم حضاريا (مدنيا) كان مرحلة تمهيدية ضرورية كي تبني عليها أوربا أبحاثها لتصل في تاريخ محدد (هو التاريخ المعاصر) إلى اختراع السيارة، ثم الطائرة، ثم... وهكذا.

والمهم أن التحديث التمدين قانون رباني مستمر لا يتوقف، بحيث إذا توقف في جهة من العالم، استمر في جهة أخرى وتطور.

وتجديد السابق أولا قبل اللاحق، يرجع إلى أن اللاحق (المدنية) جعله الله مستمرا في دورة حضارية عبر شعوب العالم ينتقل من أمة إلى أخرى، ويتجدد مع هذه الدورة الانتقالية. فتجدد المدنية مستمر ويشارك فيه العالم كله. فقد أسند تجديده أي تحديثه، إلى العالم، إلى الخلق لأنه من صميم حياتهم (من جنسها).

أما الدين الذي هو الدين الاسلامي خاصة، فقد أسند الله تجديده إلى نفسه عز وجل، فهو الذي يبعث من يجدده على رأس كل مائة سنة. فالتحديث المدني قانون رباني في الخلق، وتجديد الاسلام أمر رباني.

والنتيجة الواضحة لمفهوم السياق الفكري للتجديد في المنهج الاسلامي هي أن شمولية التجديد (مع ترتيب اللاحق مع السابق منهجيا) يؤكد أن: التحديث التمدين ضرورة في الاسلام، لتلازم الشريعة (المدنية) مع العقيدة (المذهبية) في مفهوم واحد هو (الدين) كما سلف. فالتحديث التمدين إذن ضرورة في الاسلام.

ومن هنا نعرف لماذا اهتم الاسلام بتجديد الدين (العقيدة والشريعة) (أي المذهبية والمدنية)، وذلك حتى تتجدد (تتحدث/تتمدن) المدنية، ولكن على أساس المنهج الترتيبي السابق فاللاحق، باعتبار السابق هو صاحب الحاكمية والتوجيه.

أما إذا أعطي المقام الأول في التجديد للمدنية (مع استمرار الهبوط والانحراف المذهبي) وهو النهج الذي حاول الاستعمار أن يسير عليه في عملية التحديث عندنا، فمعناه اعطاء الحاكمية للمدنية ضد المذهبية عندنا.

وإذا عرفنا أن المدنية الحديثة مستوردة أي هي نسبا من سلالة الحضارة الأوربية، فهي واردة عن طريق التصدير الخارجي لا عن تطور تجددي داخلي نستطيع أن نعرف لماذا يراد لها أن تكون عقيدة مهيمنة على النفوس، إذ أنهم اكتشفوا فيها الأداة الفعالة في الغزو الفكري (المذهبي).

وفعلا حققت نتائج باهرة، لأن الانفعال مع هذا الغزو (وما صحبه من شن حرب فكرية ضد الدين، والدين الاسلامي فقط (.)، وضد كل انماط الاصالة الحضارية المتصلة به)، استطاع أن يخلق نفسية خطيرة تدفع إلى إكبار (عقائد) التحديث والفكر المرافق له إلى درجة الوثنية (التقديس).

وقد صاحب ذلك احتقار كل مصادر الأصالة الذاتية (لغة ـ علوم أصيلة ـ تقاليد وعادات أصيلة ـ أخلاق إسلامية... الخ). فنتج عند ذلك أنه أخذ البعض ينسى حتى كرامته، ويفقد السيادة التي منحه الله إياها. وهكذا تطور هذا الاكبار ليصبح خضوعا أعمى لسيطرة الحضارة الغازية التي تغلغلت باسم (التحديث التمدين) فقط، والقصد الأساسي هو نقل المجتمع برمته إلى ذلك، وبالتدريج حتى يصل إلى المرحلة الملائمة للتغيير النهائي (الدمج).

ولكن النتيجة العاجلة التي كانت مقصداً في عملية التحديث منذ بدايتها في القرن الماضي، والمستمرة إلى الآن باعتبارها تلعب دوراً مكعباً يتلخص في الاستغلال المادي والتغيير الشكلي والمذهبي هي: أن التصميم الذي وُضعنا فيه منذ البداية هو: أن نعيش التحديث التمدين ولا ننتجه، أي أننا يجب أن نقف عند استعمال (استهلاك) المدنية الحديثة فقط، وأن نظل دائما سوقا لاستهلاك بضاعتهم كما

والنتيجة الواضحة لمفهوم السياق الفكري للتجديد في المنهج الاسلامي هي أن شمولية التجديد (مع ترتيب اللاحق مع السابق منهجيا) يؤكد أن: التحديث التمدين ضرورة في الاسلام، لتلازم الشريعة (المدنية) مع العقيدة (المذهبية) في مفهوم واحد هو (الدين) كما سلف. فالتحديث التمدين إذن ضرورة في الاسلام.

أرغم في إطار هذه الحملة المضادة له على قبول مشروع اصلاح الضرائب، بتغيير الزكوات والاعشار والتوظيفات الشرعية الواجبة بمشروع (الترتيب). فتم بذلك طمس إسم الزكوات والاعشار وتوقف تداولها، أي طمس ونسيان ركن من أركان الاسلام حتى يتم تجاوزه في النهاية وتوقيف العمل به. وهي وسيلة من أخطر الوسائل الاستعمارية الخبيثة في تهميش العمل بالشريعة تمهيداً لاهمالها ونسيانها ثم تجاوزها. وقد مهدوا لذلك بإفقار المغرب والقضاء عليه اقتصاديا عن طريق الذعائر الحربية والقروض الأوربية وسرقة العملة (النقود) المغربية وتهريبها.

أرادوا لنا مهما حاولناتجاوز ذلك إلا إذا رجعت الحاكمية إلى مذهبيتنا (حضارتنا). وها هو الواقع اليوم، كما كان من قبل يشهد على ذلك ويؤكده: فجميع المغاربة يتهافتون على استهلاك البضاعة الأوربية مثلما كانوا عليه في نهاية القرن الماضي، وهم اليوم يريدون أن يسبقوا في استهلاكها من صنعوها.

ويرجع هذا طبعا إلى أن **التحديث الذي أريد لنا منذ البداية هو التشكيل الخارجي بمنتوجات الحداثة، لأن هذا التشكيل الخارجي يوهمنا بأننا تحدثنا (تمدنا). ولكن في أصله يساعد على امتصاص بضاعتهم وبذلك يحقق أرباحا طائلة لهم في العاجل بقدر ما يفقرنا نحن فقرا عميقا وخطيرا يدفعنا باستمرار إلى التشبث بأهدابهم والخضوع إلى مخططاتهم من جهة.**

ومن جهة أخرى يلون المغربي المسلم في مظهره الخارجي باللون الحضاري الأوربي ليكون شاهدا(22) على سيادة حضارتهم. كما أن هذا التشكيل الخارجي (أو التلوين) **يكيف الفكر وفقةُ تكييفا لا يستشعره الانسان بسهولة، لأنه يغرف فيه فلا يستطيع تأمله.** وبذلك تصبح البضاعة بدورها تساهم في الغزو الفكري. فالبضاعة إذن تساهم في غناهم وفي فقرنا وتبعيتنا، وفي تغييرنا آليا تغييراً شكليا وفكرياً.

وهكذا يتأكد أن ما حدث في عملية تصدير التحديث هذه ليس سوى عملية تبضيعنا أي تشكيلنا مظهريا ببضاعتهم الحديثة، وليس تطوراً أو يقظة حقيقية.

لأن التطور يقدم على منهج علمي تتلازم فيه الحضارة بالمدنية كما سبق في تعريف الحضارة، وكان ذلك التلازم غائبا منذ البداية وما يزال.

واليقظة تقوم على الادراك: إدراك الذات، وإدراك الآخر. وهي بهذا المفهوم الدقيق لم تكن، ولا تزال في صورتها الحقيقية مفقودة إلى الآن.

خلاصة

وباختصار شديد ننتهي إلى القول بأن عملية الاصلاح التجديد مرت بثلاثة أطوار أساسية هي:

● **الطور الأول**: ويبدأ من احتلال الجزائر (1246هـ/1830م) إلى حرب ايسلي فحرب تطوان، باعتبار هذا الغزو كان ضرورة لفرض فكرة الاصلاح التجديد على المغرب للشروع في مرحلة استغلاله ونهبه ووضع الأسس الأولى لتغييره.

● **الطور الثاني**: يبدأ من فرض الحماية على المغرب حتى الاستقلال السياسي (1912 ـ 1956) حيث كان الاحتلال والحماية ضرورة لممارسة الاستغلال والنهب وقيادة عملية التغيير وتوجيهها بالتركيز على عملية الفرنسية ومحاولة تغيير القوانين الشرعية بقوانين فرنسية. وخلق مؤسسات سياسية (أحزاب) تتبنى هي بنفسها عملية التغيير تحت شعارات مستوردة صراحة بدون أن يكون لها وعي حقيقي عميق بما تفعل.

● **الطور الثالث**: الانسحاب العسكري من المغرب (الاستقلال السياسي) كضرورة لاستمرار عملية التغيير بتوجيه أوربي مباشر وغير مباشر وبشكل أكثر فعالية وعلى يد أطر كفأة ومخلصة للتغيير.

ان التحديث الذي أريد لنا منذ البداية هو التشكيل الخارجي بمنتوجات الحداثة، لأن هذا التشكيل الخارجي يوهمنا بأننا تحدثنا (تمدنا). ولكن في أصله يساعد على امتصاص بضاعتهم وبذلك يحقق أرباحا طائلة لهم في العاجل بقدر ما يفقرنا نحن فقرا عميقا وخطيرا يدفعنا باستمرار إلى التشبث بأهدابهم والخضوع إلى مخططاتهم من جهة.

إن التصميم الذي وضعنا فيه منذ البداية هو: أن نعيش التحديث التمدين ولا ننتجه ، أي أننا يجب أن نقف عند استعمال (استهلاك) المدنية الحديثة فقط ، وأن نظل دائما سوقا لاستهلاك بضاعتهم كما أرادوا لنا مهما حاولنا تجاوز ذلك إلا إذ ارجعت الحاكمية إلى مذهبيتنا (حضارتنا) .

كما أن اقتصارها على الجانب الاستهلاكي بدل اتجاهها نحو علوم الحداثة يؤكد ما للخلفية التاريخية عند الأوربيين من تأثير في الموقف الاستغلالي البشع والمستمر إلى الآن ضدنا .

ثم إن اتجاهها - وبعداء سافر أحيانا - إلى عداء مقوماتنا الحضارية ومحاولة تغييرها آليا وعمليا بمنهج علمي خطير: يؤكد ما للخلفية التاريخية المستمرة إلى الآن من دور في ذلك .

ثم ينبغي أن نعرف كذلك أن الاسلام والأمة المغربية المسلمة أمة أبية تحب الحق والحرية والحياة الطيبة الطاهرة ، وتحب كأمة مسلمة أن تكون قوية ، لذلك فهي تريد التجديد التحديث للوصول إلى هذه القوة والدفاع عن حريتها وترفيه حياتها ، وهذه الأسباب المذهبية والنفسية هي التي دفعتنا إلى قبول التحديث منذ البداية رغم توجيه الاستعمار له ، ومن أجل الوصول إلى ذلك أيضا تسامحت مع الاستعمار رغم استغلاله ومكائده وضحت في سبيل ذلك كله . وهي اليوم متشبتة بالروح العلمية الجديدة ، على أنها لن تسمح بمس مقوماتها أو تتنازل عن مبادئها المذهبية ، بل ستسترجعها وترد لها الحاكمية التي كانت في توجيه التحديث التمدين بحول الله . وبالله التوفيق وعليه الاتكال والسلام .

الأستاذ : أحمد العماري .

الهوامش

1 - لاحظ مثلا : الناصري في الاستقصا - جـ 9 . خلال أماكن متعددة . . وكذلك جعفر الكتاني: الدواهي المدهية للفرق المحمية (مخطوط) . وغيرهما كثير. والأجنبي مثل : Wesgerber : Au Seuil du Maroc Moderne

2 - من هذه الفتاوي مثلا : الفلاق : تاج الملك المبتكر (مخطوط) . وعلي السوسي السملالي: عناية الاستعانة (مخطوط) أيضا .

3 - الآية : 120 من سورة البقرة .

4 - راجع : أحمد توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة ، ص 281 و318 و333 - 334) .

5 - J. Hess : La question du Maroc

6 - حول موقف الفرنسيين المعادي للمغرب المسلم في القرن 19 وما قبله . هناك مراجع بالفرنسية كثيرة ومعلومات غزيرة لا يتسع المجال لإدراجها هنا ، ونكتفي بالإشارة إلى ذلك فقط .

7 - يراجع نص هذه البيعة عند الناصري (الاستقصا جـ 21/9) . وعند المهدي الوزاني (المعيار الجديد - جـ 47/3 ، طبعة حجرية) .

8 - انظر رسالتنا : مشكلة الحدود الشرقية - جـ 353/2 وما بعدها .

9 - رسالتنا : نفس الجزء . ص : 397 .

10 - يراجع : M. Faujas : la Frontière Algero – Marocaine – Grenoble 1904 p: 27

11 - A. Bernard : les Confins Algero – Marocain. paris 1911. p: 278.

12 - نفسه : 269 .

13 - يراجع حول هذا : مجموعة الوثائق التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية المجلد الثاني 1976 . خلال الوثائق العشرة الأولى بالمجلد .

14 - محاولة عزل المغرب عن غرب إفريقيا كانت وما تزال إلى الآن ، وهي حرب ضد انتشار الاسلام في غرب إفريقيا ، ويمكن الرجوع إلى رسالتنا لمعرفة ذلك .

15 - كتب السلطان الحسن الأول رسائل عديدة إلى عماله بالمدن الساحلية يحذرهم فيها من خطورة نشر الأوربيين للخمور والسجائر والفسق والقروض بالربا . . . الخ . والعواقب الخطيرة لذلك على انحراف افراد الأمة .

16 - حول الفرق بين مفهومي (حضارة ومدنية) يراجع البحث القيم تحت عنوان : إنهيار الحضارات وعوامل سقوطها ، مؤسسة الهدى للنشر - باريس - الطبعة الثالثة 1405هـ / 1985 . ص : 7 - 8 - 9 .

17 - أي الاطار المفهومي الفكري ، بما في ذلك الاعجاب بالمدنية بأسلوب تقني ، وبمظاهرها ومنهجيتها في العمل . . . الخ .

18 - هناك تعبير دقيق عن هذا الادراك جاء عند التسولي (تراجع أجوبته) . وعند : علي السوسي في كتبه (عناية الاستعانة) وغيره .

19 - يراجع : السيوطي - الجامع الصغير - جـ 74/1 .

20 - الآية : 11 من سورة الرعد .

21 - الآية : 53 من سورة الأنفال .

22 - أي (Temoin) أي من الشواهد (الأطلال) الشاهدة على الأثر .

دراســـة

الدين والتجديد

الدكتور حسن الترابي

مثار قضية التجديد الدينـي

1 ـ تهب على المسلمين اليوم رياح صحوة شاملة، تنفخ فيهم روحا جديدة، وتبشر ببعث ديني يغشاهم بعد الخمول المتطاول. وقد اعترتهم هذه الصحوة من جراء تدارك وعيهم نسبة أوضاعهم إلى سائر العـالم، ونسبـة حاضرهم إلى ماضيهم، ونسبـة واقعهم إلى مثلهم الـدينية. فمنذ تنامي وعيهم بذلك أصابهم نفور شديد من أحوالهم الراهنة ورغبة في نفيها وتوثب نحو اجتيازها إلى حال أفضل.

- لقـد صدمتهم المقابلة الماثلة مع الحضارة الغربية التي عرفوها من غارات المدّ الامبريالي ثم كثافة وسائل الاتصال الحديثة، فانفضح لهم ضعفهم الثقافي والاقتصادي والسياسي إزاء قوتها وهيمنتها، واستفزتهم الصدمة أول العهد إلى المقاومة بأسهم الضعيف فكانت ظواهر الوعي والثورة الاسلامية المعروفة في القرن الماضي، ثم أورثتهم الهزيمة ميلا إلى الانبهار والانصهـار، ثم نضجت استجابتهم للتحدي من بعد منتصف هذا القرن فهم اليوم يحاولون استنقاذ ذاتهم ووجودهم بالعود إلى أصـالتهم الاسلامية وتنشحذ همتهم للحاق بأوروبا ومنافستها في وجوه التقدم الحضاري كافة.

ومن جانب آخر اكتشف المسلمون ماضيهم من خلال دراسات التاريخ وإحياء التراث فعرفوا ما كان لهم من قوة وعز على العالم أجمع شرقه وغربه، فأفزعهم الشعور بالتقهقر والوعي بمدى الانحطاط بعد الـرقي، وحـركتهم ذكرى الماضي إلى الاستنهاض لبلوغ المكانة التي تيسرت لهم قبلا. ثم دعـاهم ذلـك كله إلى تأمـل واقعهم الروحي والثقـافي والمـادي ومقـايسته إلى القيم الاسلامية التي يؤمنون بها رمزا للكمال وهدفا، وقوموا حالهم في حكمها، فأصابهم شعور بالقصور عن مثلهم العليا، وتولدت فيهم إرادة لاستكمال ذاتهم روحا ومادة، إشباعا لحاجات فطرتهم التواقة إلى كمالات الدين وكفاية لحاجات حياتهم التي جسدت ذلك الحرمان الوجداني في بؤسها الحضاري الظاهر.

2 ـ كانت حركة الوعي لأول ظهورها تذكر بأصول الايمان وتقرر شمـول الاسـلام وتجـادل في القضية الكلية لمعنى الـدين وجدواه في الحياة. ذلك أن **الغفلة الطويلة أحالت الدين عند أغلب المسلمين تراثا في هامش من الحياة وأوهت قواعده الايمانية الموحدة وأحدثت فراغا إعتقاديا جذب على المسلمين دعوات مادية متحاملة على الدين تنكره وتزدريه جملة وتورد عليه شبهات شتى تلقى الريب في أصوله الكلية.**

وكـانت المجـادلات في شأن الدين تكاد تتجرد بين كفر يحتقر الدين أو يحتصره في زاوية من الحياة وإيمان مطلق كلي. وقليلا ما يتطرق الجـدل إلى تفصيلي قضايا الدين أو تنزيلها على الواقع وإبراز مزاياها الفرعية. فكان النزاع في مقاصد الحياة يتناصب فيه: التوحيد الذي يرى آية الله في كل مظهر كوني ويستشعـر روح العبادة في كل قول وفعل، والاشراك الذي ينقطع بغالب الحياة عن الله فيقف على الظاهر من علم الكون ويعكف على العاجل من غايات الدنيا متبعا للشهوات النفسية أو للسلطان الاجتماعي. وكان النزاع المترتب عن ذلك في نظم الحياة يدور بين إسلام يعقد الولاء في الله ويجعل الحكم لشرعه والتقوى عند حدوده، وجاهلية تطغى بسلطة الحكم وتتبرج بشهوة الجنس وتتوالى بحرية العصبية.

3 ـ ثم تطورت المنـاظـرات حول الـدين في عهـد لاحق إذ استيقظت طائفة جليلة من المسلمين بأثر حركة الايقاظ والتذكير نحو إخلاص التوحيد في الاعتقاد، واتجهت نحو تمام الاسلام في شريعة الحياة، وكـان لزاما لصالح هؤلاء أن تتطور دعوة الاسلام وتتسع في موضوعاتها لتشمل مسائل تنزيل الدين على الواقع وتفصيله لمدى يمكن التائبين من تحقيق إسلامهم. واستدعى ذلك أن ينفذ النظر عائدا إلى أصول الدين الأولى التي احتوتها النصوص الشرعية لعهد التنزيل، وأن يمعن في تراث الفقه والتجريب الذي أضافته الخالفة، وأن يتبصر في ثنايا الواقع الحاضر ووجوه الابتلاء المتجددة التي يطرحها، من أجل استيحـاء الشرع والاستئنـاس بالـتراث وتعرف الواقع لانجلاء صور التطبيق الاسلامي الواجبة في سياق الأوضاع المعاصـرة.

وثارت من ثم في وعي حركة الاسلام ودعوته قضية من قضايا الدين لم تثر قبلا بذات الدرجة من الحدة في تاريخ المسلمين القريب. تلك هي قضيـة المنهج الجامع بين ضرورة الرجوع إلى القديم نصا شرعيا حاكما أو فقها تاريخيا هاديا، وضرورة الاقبال على الجديد حاضرا اجتماعيا وماديا يولد تحديات معينة في الاعتقاد ومشكلات خاصة في العمـل تلبس على المسلمـين الحق وتفتنهم بالبـاطـل بوجوه لم يسبق لبعضها بل لأغلبها مثيل، وذلك من جراء تطاول فترة الجمود.

أن الغفلة الطويلة أحالت الدين عند أغلب المسلمين تراثا في هامش من الحياة وأوهت قواعده الايمانية الموحدة وأحدثت فراغا إعتقاديا جذب على المسلمين دعوات مادية متحاملة على الدين تنكره وتزدريه جملة وتورد عليه شبهات شتى تلقي الريب في أصوله الكلية .

4 ـ ولعل أول الاشكالات التي طرحها تطاول الفترة التاريخية هو **بلورة التصور للعنصر التاريخي أو الزمني في الدين .** فقد يتوهم بعض المتدينين أن الدين من حيث تعلقه بالله القديم الباقي لا يخضع في شيء لأحوال الزمن وأطواره ولا تتصور فيه مفارقة بين قديم وجديد مما نعالجه بالتجديد. وقد توهم الدهريون أن الدين بل الوجود كله نسبي وكله متقادم بائد، والحق في تصور الدين أنه توحيد بين شأن الله وشأن الانسان في الدنيا، بين المطلق الثابت والنسبي المتحول. ويكمن البلاء المبين في المفارقة الدائبة التي تطرأ بين الحق الأزلي والقدر الزمني ويمكن الموقف الديني في التزام التكليف الشرعي بمجاهدة تلك المفارقة حيثما طرأت ومحاولة تحقيق التوحيد في كل حال. ومن ثم يصل الدين ويشمل ما بين الأزل والزمن أو الثابت والمتحول.

ومن تلك الاشكالات ـ ثانيا ومن بين الاعتراف التصوري بالعنصر الديني المتحول عبر الزمن من قديم إلى جديد ـ **كيفية العدل بين هذا وذاك بسبيل توحيدهما. فقد يعكف فريق من المتدينين على صور التدين في زمن قديم حتى لا يكادون يدركون الجديد فتراهم يتعامون عنه ويتسلون عن فتنته الماثلة باستحضار القديم بمقولاته وذكرياته المحفوظة ويحصرون دينهم الفعلي فيما يتيسر تقليده من الصور السالفة ويتركون سائر حياتهم سدى. وتحقيق التوحيد عند هؤلاء قائم بحكم الماضي، ولا يستدعي منهم كسبا مجددا. وقد ينفعل فريق آخر بالابتلاءات الدنيوية الجديدة وبمقتضياتها الدينية الطريفة فلا يدركون قيمة القديم من تاريخ تجارب التدين ولو انتسبوا إسما إلى ذلك التاريخ.** وهؤلاء في خطر من أن يصبحوا عرضة للتقلب مع الزمن يجتاحهم بحركته الدوامة بعيدا عن أصول الدين ويعجزون عن تولي متن التاريخ بقوة الارادة الانسانية التي زودها الله بحرية تمكنها إن شاءت من تجاوز الظروف الدنيوية المقدرة لابتلائها ومقاومة دوران الزمن والمكان ثباتا على الحق المطلق.

ومنها ـ ثالثا ـ إشكال الفقه الدقيق بوجوه الاعتبار في الشريعة الخالدة وتمحيص النظر لادراك صميم نصها القديم الباقي. فالدين جانبان: روح أو نية متوجهة إلى الله، وأشكال عمل مسنون للتعبير عنها. والتكليف قد يقتصر على توخي الروح دون اشتراط شكل تعبير معين وقد يشتمل اعتماد بعض أشكال التعبير عنها طلبا أو نهيا. ومن أعسر قضايا فقه الدين إدراك ما هو مقصود بغايته وصورته أيضا ـ بالنية والشكل معا ـ من مظاهر التدين التي جاء بها النموذج الشرعي عهد نزول القرآن وحياة الرسول ﷺ، وما جاءت فيه الصورة عرضا غير مشروط بذاتها على التأييد بل لكونها وسيلة التعبير المتاحة في تلك البيئة الأولى عن مقصود الشرع. **ففريق ظاهري متنطع يعتمدون الأشكال المنقولة كلها ولا يبالون بما وراءها من روح ونية ومغزى بل يلتزمونها ولو لم تعد مناسبة لأدنى تعبير عن المقصود. وفريق باطني شاطح يلتمسون روح الدين عفوا ولا يبالون بأشكال شرعت خاصة للتدين الخاص واشترطت لتحقيقه فيضلون عن معالم سبيل الله من حيث يزعمون قصده. فالأولون ومن قاربهم عرضة للجمود على القديم أو لا يجددون إلا بيقظة روحية محدودة مكبلة بجمود الأشكال والآخرون ومن قاربهم يجددون بطلاقة لكنهم ينتهون في بعض أمر دينهم إلى المسخ والتبديل.**

ومنها ـ رابعا ـ إشكال التمييز في تراث الاسلام بين ما هو شرعي ينتسب إلى سنة الله وسنة رسوله والمؤمنين لعهد تنزيل القرآن، وما هو تاريخ ينتسب إلى ما بعد ذلك من سنة السلف. فالأول نموذج قياسي لازم لأن توجيهه كان بالوحي المباشر من الله تعالى وتنفيذه بقيادة النبي المعصوم ﷺ. وكل ما تلا ذلك من تاريخ إنما هو محاولات اجتهادية وعملية للاتحاد مع ذلك النموذج الأول تقتصر عنه بالضرورة وتقاربه أو تنحط عنه حسبما تصلح أو تفسد، فهي تمثل عبرة للمستأنس يأخذ منها ويترك ولا تمثل حجة للملتزم.

وقد يختلط لدى البعض صورة النموذج الشرعي المحكم وصور التطبيق التي تحاكيه لاحقا فيقرونها جميعا على سواء، وقد يخلص آخرون إلى عهد السنة الأولى قافزين فوق سائر التراث المخالف بعبره ومواعظه البالغة.

ومنها ـ خامسا ـ إشكال التمييز في الجديد المعاصر وفي نماذجه الوضعية العالمية التي تحيط بالمسلمين ويحاولون أن يردوها إلى حكم الدين وتكاد تفتنهم بتصوراتها الخاصة لحاجات الانسان ووسائل كفايتها عن التمييز بين ما هو مؤسس على كشف لأقدار الله بالتجربة الاجتماعية الحكيمة والبحث العلمي المحقق مما ينبغي أن نسخره لعبادة الله، وما هو صورة تعبير لا تنفك عن قيم وأهواء مدبرة عن الله. فالبعض يرتابون بكل كسب بشري جد في ظل الحضارة الغافلة عن الدين ويرفضون الاعتبار بما فيه من تقدير لمصالح الحياة ومفاسدها وأنماطها وأسبابها، والبعض الآخر يفتن بذلك جميعا.

ليس ما قدمنا إلا قليل من الاشكالات النظرية الكثيفة في قضية التجديد، تثور لحركة الوعي بشأن الاسلام والدعوة إليه إذ تستشرف مرحلة الايجابية والنضج. وقد تنكص عنها الحركة فتقصر أكبر همها على إحياء عاطفة الدين وإعلاء شعاره العام، بينما تتقوقع في الأشكال التاريخية الموروثة بحذافيرها فتتخلف عن بعض مقتضى الدين، وتتأخر بتدينها عن تقدم الحياة وابتلاءاتها المتجددة. وقد تجتاحها التطورات

الظرفية، فتفسق عن أطر الدين وترتد على أعقابها مدبرة عن الله وهي تحسب أنها تسير قدماً. وقد يتهيأ لها في معالجة إشكالات التجديد بعض توفيق فتدرك حظاً محدوداً مما ينبغي الآن من الدين. وقد يجعل الله لها فرقاناً فتوحد قديم الحق بجديد الحياة وتجدد أمر دينها معتصمة بأصول الشرع وثوابته مواكبة لحركة الابتلاء الدنيوي الدوار. فيكون لها الدين الأوفى مما تقدم أو حضر أو تأخر. وإنما نسوق هذا البحث في التجديد الديني مذاكرة نتزود بها لسير موصول إلى الله على صراط مستقيم.

دواعي التجديد الديني

1 ـ **إن التجديد شرط لأصالة التدين واستمراره وهو بذلك شرط للتوحيد في الدين، فإذا لم تتجدد العبادة حالاً من الزمن بعد حال انقطع اتصالها بثغرة زمنية، وإذا لم تتحقق في التاريخ جيلاً بعد جيل انحجب عنها جيل.** وقد حفظ الله الاتصال للشعائر المسنونة الموقوتة فشرعها فرضاً أو نفلاً مرات في اليوم أو مرة في الأسبوع أو الشهر أو العام، حتى يتجدد أثرها في إمداد المؤمن بالزاد الروحي الموصول. ولكن الغالب من وجوه الحياة العابدة لم يشرع راتباً فهو عرضة لأن ينقطع اتصاله، يستغني فيه المؤمن بسابقته فيقعد، والجيل من المؤمنين بكسب سلفهم فيعطلون بعض العبادة.

وقد كيف الله الدنيا على أن تكون حلقات ابتلاء موصول لا تتناهى صوره المتقلبة المتطورة. وكيَّف نفس الانسان على أن تحتاج للتعهد بمواقف تدين متجدد إيمانها وتدبرها وعملها إزاء كل ابتلاء، فهو يقوى ويضعف ويذكر وينسى وينشط ويفتر، وصاغ الله الشريعة بما يهيئها للتكيف مع كل حال ومآل. فالتجديد لازم لحياة الانسان ولمقتضى التكليف مهما تكن أطر الوجود الكوني وطبائع الانسان وأصول الشرع ثابتة في كلياتها.

والتوحيد في حياة المؤمن أن يرد كل ظرف يطرأ عليه من ظروف الحياة إلى معنى الابتلاء وكل ظواهر الكون التي تتجلى له إلى ذلك. فالحياة والموت وما بينهما في سيرة الابتلاء، وتقدير الرزق والمد فيه، وقابلية البيئة الطبيعية للتسخير وجاذبية زينتها وضغوطها على الانسان كل ذلك ليس عبثاً ولا تفاريق صدف ولا شتات عارضات، بل تتوحد كلها لدى المؤمن وجوه ابتلاء لتوحيد مواقفه إزاءها صورة عابدة موصولة.

كذلك لكل جيل من المؤمنين ابتلاؤهم التاريخي كما كان لكل قوم هاد، وكما تتجدد الأحوال بكل جيل عليهم أن يجددوا التدين بكسب أصيل ليردوا اختلاف أحوالهم المعينة إلى معاني الدين الواحد وخصوص تدينهم إلى عموم الدين الحق.

إن التجديد ينطوي على إثبات البعد الروحي للانسان ـ أخص خصائص البشر ـ ذلك أنه يثبت قدرة الانسان على تجاوز ظرف التاريخ الذي يتجه بتعاقبه وكثافته إلى أن يحجب الانسان عن أصول الوحي والشرع الأولى، بل يتجه بتطورات الفتنة التي تشكلها الأحداث إلى أن ينهك قوة المصابرة وخبرتها لديه. فالانسان لذلك عرضة لأن يتردى في شراك الفتنة المتداركة على طريق الحياة، أو أن يتغلف في ركام من كسب بشري سابق من تراث التدين: والبعد الروحي الذي يسعف الانسان في ذلك هو ذاته الذي يكمن وراء قدرته لأن يتجاوز ظروف الطبيعة الكونية الظاهرة التي تتجه بكثافتها وفتنتها إلى أن تحجبه عن ربه. وكما يقاوم الانسان المؤمن تلك الظواهر الفاتنة فيتخذها آية ينفذ من خلالها ويجعلها مطية إلى الله، يصابر كذلك حلقات الابتلاء مهما توالت عبر الزمن ويظل ملاحظاً لأصول الشرع من خلال صور فقهها وتطبيقها السالفة، ويجعل التراث وسيلة للنفاذ إلى الأصول.

إن الزمن لا اعتبار له في حق الدين إلا لكونه البعد الظرفي المادي المتطور الذي يشكل قاعدة التدين ويكيف صوره. فالقديم من التدين لا قيمة لقيامه من قبل إلا بما يحتوي من حكمة تنطوي عليها محاولات التعبير عن الدين فقهاً وعملاً. والجديد من التدين لا قيمة لطروئه من بعد إلا بما يفي من حاجة الاستجابة للابتلاءات الدنيوية التي كتب الله أن تتطور وتتجدد أبداً.

2 ـ لقد قدمنا أن سيرة الدين التاريخية، حتى بعد ختم النبوة، ما تنفك تستدعي تجدداً يحيي الدين، فيبعث معاني الايمان كلما ماتت، وينشط حركة العمل كلما فترت.

يشير القرآن إلى ضرورة موالاة إحياء الايمان بذكر الله الذي يتجدد به التنزيل المتواتر، لئلا يتطاول العهد ويقسو القلب ويبرد فيتعسر إنعاشه من بعد. ويشير إلى أن الله يحيي بالذكر المنزل كما يحيي موات الأرض بماء السماء. ﴿ . . . ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون. اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها، قد بيَّنا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ (الحديد 16_17).

وثارت من ثم في وعي حركة الاسلام ودعوته قضية من قضايا الدين لم تثر قبلاً بذات الدرجة من الحدة في تاريخ المسلمين القريب. تلك هي قضية المنهج الجامع بين ضرورة الرجوع إلى القديم نصاً شرعياً حاكماً أو فقهاً تاريخياً هادياً، وضرورة الاقبال على الجديد حاضراً اجتماعياً ومادياً يولد تحديات معينة في الاعتقاد ومشكلات خاصة في العمل تلبس على المسلمين الحق وتفتنهم بالباطل بوجوه لم يسبق لبعضها بل لأغلبها مثيل، وذلك من جراء تطاول فترة الجمود.

فقد يعكف فريق من المتدينين على صور التدين في زمن قديم حتى لا يكادون يدركون الجديد فتراهم يتعامون عنه ويتسلون عن فتنته الماثلة باستحضار القديم بمقولاته وذكرياته المحفوظة ويحصرون دينهم الفعلي فيما يتيسر تقليده من الصور السالفة ويتركون سائر حياتهم سدى. وتحقيق التوحيد عند هؤلاء قائم بحكم الماضي، ولا يستدعي منهم كسبا مجددا. وقد ينفعل فريق آخر بالابتلاءات الدنيوية الجديدة وبمقتضياتها الدينية الطريفة فلا يدركون قيمة القديم من تاريخ تجارب التدين ولو انتسبوا إسما إلى ذلك التاريخ.

فالاحياء واجب تدين موصول، إذ لا يكاد يتحول ظرف أو يجري زمن إلا انطوى على ابتلاء للايمان يستوجب تجديده إزاء الموقف الجديد، فإذا تمادى المرء في الجمود تجاه حركة الابتلاء ولم يستدرك من قريب، أوشك أن يتخلف فتطبق عليه الغفلة وتتعسر الانابة من بعد الشقة. وتجديد مواقف الايمان إزاء كل تطور جديد في سير الحياة هو المقصود من وصايا القرآن للمؤمنين أن يؤمنوا وللمتقين أن يتقوا إيمانا بعد إيمان وتقوى بعد تقوى، حتى لايغتر امرؤ بموقف إيمان سالف عن موقف إيمان متجدد ولا بتقوى تحققت عن تقوى يلزم أن تتحقق ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل. . . إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ﴾ (النساء 136_137)، ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ (المائدة 93). ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ (الحديد 28). ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (الحشر 18).

وكما ينكر كثير من المخاطبين برسالات الله لأول العهد ما يلقى عليهم وما هو إلا تذكير بما هو مركوز في الفطرة من الايمان، قد ينكر المؤمن إذا تطاولت غفلته ما كان مألوفا من معاني الايمان حين تنبثق له من جديد، وقد ينكر معاني العلم الديني إذا أوحشت نفسه عنها طويلا، وقد تثقل عليه تكاليف الجهاد والاحسان إذ تعود القعود وزُين له سوء عمله وغشى قلبه الريب.

وحين تصدق الارادة لتدارك الأمر فإن أصل الايمان الراسب في النفس يسعف صاحبه فيبارك الله له أسباب التوبة والتجديد. وقد يكون في اشتداد أزمة البعد عن الله ـ استيحاشا بعد طمأنينة الايمان وأيولة إلى نكد بعد طيب الحياة المؤمنة ـ ما يستفز المؤمن إلى الصدق في إرادة العودة إلى الله. فإذا تهيأت له التوبة والاستقامة كان عليه أن يحذر من العجب والغرور بكسبه لئلا ترتخي همته فينتكس.

ومن سنن الله الماضية في شأن الكون أن يزاوج بين الحياة والموت والنور والظلام، فيخرج الحي من الميت والنهار من الليل ويكور العلاقة بينهما ومن نحو تلك المزاوجة يتدافع الحق والباطل في نفس الانسان، فإذا طلب الهدى أحيا الله قلبه بعد الموت، لكن الباطل يراود الانسان بعد معرفة الحق بحكم سنة الابتلاء، فالذين اتقوا تذكروا كلما مسهم طائف من الشيطان والذين لم يوالوا التقوى ويجددوها كانوا في خطر إزاء الابتلاء الجديد أن يرتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وما ينفك المؤمن في مكابدة واضطراب مع مر ظروف الابتلاء يحسن فييسره الله للحسنى، أو يركن إلى كسبه عن إحسان موصول فينحط وييسره الله للعسرى، حتى إذا ألزم أمره حركته نفس لوامة فنهض من جديد.

كذلك أحوال المجتمع المؤمن قد يوفق المؤمنون في سيرتهم الدينية الحضارية إلى مواكبة ابتلاءات الايمان والعلم والعمل، فيظل دينهم طريا من موالاته وتعهده بالتذكر والتفقه والمجاهدة. وقد يفتن المؤمنون فيختلس الشيطان من أمر دينهم فينسيهم ويتطاول الأمد ويتراكم الصدود والجمود، وتكون التوبة الواجبة عندئذ عظيمة بقدر عظم الفوائت ويكون التجديد اللازم هائلا هول الركام الذي خلفه التأخر.

3 ـ مثلما قدر الله أن تتجدد الشرائع قديما وجعل ذلك بوحي من عنده منوطا تبليغه بالرسل الذين انقطع رتلهم بالرسالة المحمدية، قدر أن يؤول تجديد فقه الشريعة الخاتمة وأمرها إلى قادة التجديد وحركاته بتوفيق من الله، وكما كانت تثبت أصول الشرائع تحييها وتصدقها الرسالات المتواترة ثم تتباين وتتناسخ لتفي بحاجة تكييف الواقع الجديد مع الحق، كذلك احتوت الشريعة الخاتمة على أصول ثبات يحييها المجددون كلما ماتت في نفوس المؤمنين وأصول مرونة تتيح لهم من داخل إطارها ذلك التكييف المتوالي.

ويشكل النموذج الشرعي الأول بتوجهاته وسننه العملية بناء عضويا حيا تتركب فيه المواقف النفسية والمفهومات النظرية والأحكام العملية بما يمكن المستقرىء والمعتبر من إدراك فقه الاعتقاد والعمل في الشريعة، ومن ترتيب علاقاتها وأولياتها المتكاملة، ومن تركيب يتلازم فيها من مظاهر الأوضاع والأفعال وباطن النيات وما يتقابل من صالح الواعظ الديني وفاسد الواقع الاجتماعي، ومن التمييز بين ما هو وسائل وذرائع وما هو مقاصد وعلل، أو يبين ما هو هوامش وثانويات وما هو أركان وأصول. ولولا حفظ النصوص بأصولها، ولولا قيام نموذج عملي للحياة بين خطاب الشريعة وحاجة البيئة أو بين الحكم الواحد وسائر نظام الأحكام الاسلامية المثلى لما تيسر للناظر في تاريخ لاحق أن يدرك تلك العلاقات، ولما تيسر له من ثم من حسن تطبيق الشريعة وتحقيقها في

كل ظرف جديد متبدل، بما يصوب معاني الايمان وشعابه على أعيان مواطن الابتلاء ليدلي بالحجة العقلية الأوقع ويقوم بالموقف النفسي الأنسب، وبما يصرف الأحكام ليصل وسائلها بغاياتها وليقوم بالموقف أولاها على أدناها وليحفظ بها العلاقة الأوفق في كل ظرف جديد. ولو أن الذي ورثناه كان تدوينا لنصوص وعبارات مجردة من الواقع لتعسر جدا، مهما حفظت الأصول، أن نفهم في تاريخ لاحق المغزى الدقيق للكلمات لأنها ستأتي الخلف حروفا وأصواتا منقولة عبر تطور كثيف في معاني اللغة وأبعادها النفسية والاجتماعية منقطعة عن سياقها الظرفي وتناسخها الذي يوضح تكاملها وتناسبها ووحدتها.

وقد قدمنا أن الدين توحيد بين البعد الأولي الروحي والواقع الظرفي المادي، **وهكذا كان النموذج الشرعي الأول نمطا مثاليا أوجد واقعا معينا في عهد التنزيل من قيم الحق والعدل الخالدة، وهيأ بذلك منهج العبادة الأمثل لله. ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال بعد أمة الخطاب المباشر، تتبدل الظروف النفسية والثقافية والاجتماعية والمادية التي كانت قاعدة للنموذج الأول، فيقضي ذلك نظرا وعملا متجددا لبناء نموذج جديد يوحد العنصر الشرعي الخالد مع الواقع الظرفي الجديد فيضاهي النموذج الأول في مغزاه الديني.** وإذا توالى التجديد من قريب كان التكييف الواجب يسيرا، أما إذا تطاول العهد واشتد تباين الظروف فإن الأمر يستدعي إيمانا ومعاناة تبدو أشق في سبيل التجديد والتوحيد.

ومهما كان لوجوه تعريف الأحكام الشرعية تطور مع الأحوال المتجددة فإن النموذج الشرعي الأول الذي يتضمن جملة الأحكام الأصل يظل بهيئته الأولى واحدا خالدا محفوظا، ويظل مصدرا قياسيا يرجع إليه المسلمون فينوعون صور تطبيقه في كل إطار ليدركوا المغزى الكامن وراء شكله ويحفظوا للدين وحدته عبر وجوه تجليه في التاريخ. وقد تدور الأحوال الزمنية فتصادف وضعا يتمثل فيه الدين أو بعضه بمثل هيئته الأولى. **ومهما كان من ذلك أو لم يكن يبقى النموذج الشرعي الأول بكل حذافيره وحواشيه مرجعا للمسلمين يلهمهم الهدى في كل زمان ومكان.** ولذلك قد يحذر المرء في المصطلح الفقهي فلا يسمى ما نحن بصدده نسخا إلا مع تعريف النسخ هنا بما لا يعني أبطال الحكم النهائي، وقد يحسن أن نسميه تصريفا للأحكام الشرعية.

ولا يكون تصريف نصوص الشرع تقديما أو تأخيرا أو تأويلا بحجة خارجية تصدر عن تقدير وضعي. فلا مبدل لكلام الله، وإنما تتخذ الحجة من ذات عناصر الشرع ـ من مزيد تأمل في إشارات النصوص وإيحاءاتها وفي سياق تواليها الزمني وتركيبها المعنوي وفي أحوال الواقع ونظام تنزيلها عليه بأسبابها وآثارها. كل ذلك أمر تجلبه قوة النظر المتباركة بتراكم الفقه والتجربة ومقارنة العلوم بالأحوال المستجدة وانفعال المسلمين بقضايا الدين الراهنة مما يقدح في وجدانهم فهما ويجلي في عملهم فرقانا يمكنهم من اكتشاف مضامين الهدي الشرعي واسرار حكمته التي لا تنفذ، فيحيلون حياتهم الجديدة تمثيلا صادقا لقيم الحق والعدل الكامنة في الشريعة.

ويجدر العود والتذكير بأن الأحكام التي يجري تصريف أشكالها وعلاقاتها لتحفظ لها ذات القيمة المقصودة بالشرع ليست إلا بعض أحكامه، فقد قدمنا أن جانبا كبيرا من الأحكام ثابت لا يتحول لأنه يمثل القيم أو التعبير الوحيد المناسب لها في أي زمان أو مكان. ونضيف هنا أن بعض الأحكام قد تجيء بشكل قطعي وحد معين لا لأن الدين لا يمكن أن يتمثل إلا بها، ولكن لتثبت معالم محسوسة في سيرة الحياة الدينية تكفل فيها مزيد وحدة عبر الزمن والمكان، وتجسد طرفا من مرجعية النموذج الأول والزامية سنته أبد الدهر، كما تجسد اتحاد حياة الأمة مهما تباينت كسوب أجيالها الفكرية وحاجاتهم العملية. وما هو ثابت من الدين وما هو مرن قابل للتصرف أو مستلزم له تحقيقا للثبات في الحق، أمور تعرف اتقان علم الشريعة وإحسان العمل بها.

4 ـ أما التراث الديني الذي حفظه التاريخ من بعد عهد التنزيل، من كسب المسلمين فقها مكتوبا أو تمثيلا عمليا، فذلك مما يتنوع في الزمن الواحد ويتطور مع الأزمان تبعا لاختلاف البيئات الثقافية والاجتماعية والمادية. وذلك مما يجوز فيه لخلف المسلمين، بل ينبغي، تصريف المذاهب السالفة تبعا لتشابه الأحوال أو نسخها لتباين الأحوال أو استدراك الخطأ. فالفقه والتراث التاريخي في ذلك خلاف منقول الشريعة الأصل، لأنه كسب ديني بشري يهتدي بهدى الله ولكن لا يضمنه الوحي المتنزل أو الرسول المعصوم شاهدا.

فاختلاف الاطار الثقافي أو الاجتماعي أو المادي قد يثير معضلات جديدة وأقضية حادثة لا يوافي المسلمون فيها هدى من نص الشريعة المباشرة ولا من الفقه الموروث، فيستدعي ذلك اللجوء إلى الأصول الشرعية لاستنباط مدد فقهي جديد يجاوب تحديات الاعتقاد ببيان جدلي لمعاني العقيدة الثابتة، كما يجاوب تحديات الاعتقاد العمل

ففريق ظاهري متنطع يعتمدون الأشكال المنقولة كلها ولا يبالون بما وراءها من روح ونية ومغزى بل يلتزمونها ولو لم تعد مناسبة لأدنى تعبير عن المقصود. وفريق باطني شاطح يلتمسون روح الدين عفوا ولا يبالون بأشكال شرعت خاصة للتدين الخاص واشترطت لتحقيقه فيضلون عن معالم سبيل الله من حيث يزعمون قصده. فالأولون ومن قاربهم عرضة للجمود على القديم أو لا يجددون إلا بيقظة روحية محدودة مكبلة بجمود الأشكال، والآخرون ومن قاربهم يجددون بطلاقة لكنهم ينتهون في بعض أمر دينهم إلى المسخ والتبديل.

إن التجديد شرط لأصالة التدين واستمراره وهو بذلك شرط للتوحيد في الدين ، فإذا لم تتجدد العبادة حالا من الزمن بعد حال انقطع اتصالها بثغرة زمنية ، وإذا لم تتحقق في التاريخ جيلا بعد جيل انحجب عنها جيل .

بمعالجة مشكلات الحياة الحادثة بضوء من سوابق الشريعة الخالدة . فحيثما نشأت أبعاد جديدة في حياة المجتمع ، لا تقوم عطلا من الدين لقصور القديم منه عنها، بل تنبسط فيها بالتجديد الفقهي معاني التوحيد والعبادة ويسري عليها حكم الشرع وتدخل الحياة كافة في الاسلام .

ثم إن النماء الثقافي المطرد وتراكم التجارب العملية عبر العهود المتوالية يكسب المسلمين قوة تفقه وعبرة تاريخ مقارن ، فيورثهم ذلك بصيرة تكشف وجوها لمراجعة فهمهم القديم بما يقربه من مقتضى الدين الأكمل . فكما استعان المسلمون عهدا ما بالمنطق الصوري من أجل تفهم الشريعة وتوحيدها قد يستفيدون لعهدهم الحاضر بطرائف من مناهج علوم الاجتماع والطبيعة ومقارنة التاريخ والحضارة البشرية لفهم أتم لنواميس الحياة، يكشف لهم من أسرار الشريعة وعلل أحكامها ما أخطأه بعض السلف، ويكسبهم حكمة في تطبيقها تحيط بمقاصدها وترتب علاقاتها وتحقق وحدتها بوجه أتم من ذي قبل .

ومهما يكن فإن مرور الزمن بذاته قد يؤثر على الفقه ويستلزم تجديده وذلك لدواع فنية تتأتى من نتائج التتابع والتراكم في التراث . فالفقه يتجه في تطوره من التعميم إلى التشعيب ويتفاقم ذلك حتى يبلغ مدى من الكثافة تكاد تحجب المقاصد العليا للتدين . والفقه يجنح من كثرة تقليب النظر نحو النماء وينقطع عن مثل تحقيق العدل والحق سعيا نحو كمال البناء المنطقي . **والفقه إذا تراكمت نقوله الموروثة قد يغري الجيل الخالف إلى أن يقنع بماضيه ويستغني عن الاجتهاد وأعمال وظائف العقل الناقد، المقدم للمنقولات، المولد المركب للمفهومات الجديدة .** وهكذا يشهد تاريخ كل فقه بشري دورات تجديد ترده إلى فقه المقاصد والواقع والاجتهاد كل ما غلا بتطوره نحو فقه التشعيب الشكلي والتجريد المنطقي والاستذكار والتقليد .

بل إن الفقه مرهون بالعمل وبواقع التدين كله . فإذا اعتل ذلك الواقع اعتل الفقه أو حاول الفقهاء أن يديروا الأحكام بصورة استثنائية ليصححوا أو يقاوموا اعوجاج الواقع ، ويتعين على المسلمين في عهد لاحق ـ يدركون فيه تخلف واقعهم عن مثلهم ويحاولون تقويمه ـ أن يقبلوا على الفقه فيقوموا علله ويصوبوا الخطأ فيه أو يعدلوا ما لجأ إليه الفقهاء من المذاهب الاستثنائية مراعاة لواقع يتبدل أو يمكن تبديلـه .

ولعل من أوضح الأمثلة لانحراف الفقه بانحراف العمل الفتوى في حكم البيعة السياسية للامام بجواز ولاية العهد أو كفاية بيعة القلائل والتفريط بذلك في مغزى الشورى الاسلامية . ولعل حرمان أولي الأمر من كل دور في أصول الأحكام على صراحة القرآن في إسناد ذلك إليهم، هو مما لجأ إليه الفقهاء ضرورة لحفظ الدين من أهواء الظلمة، وهو مما ينبغي أن يقوم باستقامة الحكم .

ولعل في قيام النموذج الشرعي الأول في التراث ومن وراء كل الكسب الفقهي والعملي ما ييسر لكل خلف من المسلمين أن يتجاوزوا ركام التاريخ ويحاكموه إلى معايير الحق القياسية التي تبقى محفوظة حاضرة حاكمة على كل كسب بشري . لكن مهما يكن مدى حرية الخلف في أخذ التراث الفقهي والعملي وتصريفه وتطويره فإن الواجب عليهم أن يحفظوه أيضا ولا يهدروه ، لأنه يمثل وحدة الأمة عبر التاريخ أولها وآخرها ولأنه ذخيرة تجاربها المتباركة . فما كان فيه من عناصر ذات قيمة باقية يبقى لينير طريق الأمة مستقبلا، وما كان فيه من قيمة منسوبة إلى زمان وظرف لا تناسب حاضر المسلمين . يبقى رصيد احتياط أن يطرأ ظرف مماثل . وما كان فيه من اجتهاد خاطىء في الرأي أو التطبيق كشفه النظر، أو لاعتبار اللاحق، يبقى عظة للأمة من أن تتورط فيه مرة أخرى .

وإن في إحياء التراث كلها نسبي ، ودراسته وتحقيقه، ما يعين على نقده وتمحيصه بمزيد من المعارف اللاحقة ليبتلى حظه في الثبات أو النسبية أو الخطأ . ويشهد التاريخ أن الذين تعمقوا في التراث بوعي وتدبر وأحاطوا بعناصره يقارنونها ويصلون أولها بآخرها ويربطون مقولاتها النظرية بسياقاتها الواقعية، ثم الذين ألموا بثقافة الواقع المعاصر، هم الذين قدروا التراث حق قدره وأبانوا قيمته الباقية واستعانوا به على تجاوز نتائجه فيما لزم، بينما لم يكن حظ لأهل الاستذكار والعكوف على ظاهر المتون والاستغناء بها يفيت العصبية المذهبية ، لم يكن حظهم إلا الجمود بالتراث وإغراء الاتجاه نحو إهماله لارتياد الجديد .

إن الزمن لا اعتبار له في حق الدين إلا لكونه البعد الظرفي المادي المتطور الذي يشكل قاعدة التدين ويكيف صوره . فالقديم من التدين لا قيمة لقيامه من قبل إلا بما يحتوي من حكمة تنطوي عليها محاولات التعبير عن الدين فقها وعملا . والجديد من التدين لا قيمة لطروئه من بعد إلا بما يفي من حاجة الاستجابة للابتلاءات الدنيوية التي كتب الله أن تتطور وتتجدد أبدا .

دورة التجديد الديني

1 ـ لقد أسلفنا القول فيما يعتري المؤمن من أطوار التدين. فهو يتراوح بين حال تذكر وتدبر ونشاط وحال تطرأ فيها عليه غواشي النسيان وتصدمه الابتلاءات فتظلم عليه مسالك الحق أو تقعد به الأهواء، فإذا اشتدت عليه أزمة الانخرام من الدين والانحطاط عن مثله العليا وذاق عاقبة ذلك في دنياه، حركة ذلك إلى توبة ترقى به في أمر دينه ودنياه، ويشكل ذلك الحال بذاته ابتلاء جديدا يوشك أن يفتن المؤمن مرة أخرى. وقد قدمنا أن أحوال الجماعة مثل حال الفرد في تلك الأطوار، فهي عرضة بعد استقامة الدين والحال لأن تضعف دوافع الايمان فيها ويخبو نور العلم وتفتر حركة التدين بسبب من ضآلة ما يمدها من التراث، أو اتكالها على ثروة موروثة، أو بسبب من انعزالها عن التفاعل مع تحديات الحياة، أو بقوة صدمة الابتلاءات الغلابة. لكن الجماعة المؤمنة قد يسعفها بقية من دينها، إذ يستفزها تفاقم الانحطاط عن مثلها أو يغشاها تحد خارجي ينبهها ويردها إلى الذكرى فتفزع إلى أصولها وتستمد منها قوة لتجديد أمرها والنهوض مرة أخرى. وحين تتطاول الفترة وتشتد المفارقة بين حال وحال، تبدو النهضة كأنها وثبة والتدهور كأنه سقوط، ويبدو سياق سيرة التدين متباينا خطه يرسم دورات تتداول بالمؤمنين وتضاهي الردة إلى حال الجاهلية ثم الانتقال إلى الاسلام.

وقد كانت سيرة الايمان قبل الرسالة الخاتمة عرضة لذلك الانتكاس الكامل ـ يبعث النبي فما يلبث تراثه أن يغشاه النسيان والتبديل ويرتد الناس إلى جاهليتهم حتى تدركهم رحمة الله برسول مجدد يحيي ما مات من السنن ويبعث حركة جديدة للتدين ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (البقرة 213).

ومنذ ملة إبراهيم، تهيأت الظروف لأن تتصل أصول الدين فلا تضيع جملة، بل تبقى منها باقية تمهد للتقويم بعد الانحراف. وقد بدل الخلف من ذرية إسحق وظلت الأنبياء تأتيهم تترى، وهم يحرفون كلام الكتاب ويقتلون الأنبياء أو يعبدونهم وينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويفسقون عن تعاليم الشرع. وكل ذلك مفصل في قصص القرآن عن سيرة اليهود والنصارى. أما خلف إبراهيم من ذرية إسماعيل فقد غشيهم شرك كثيف فضيعوا الكتاب كله وعبدوا الأوثان، إلا بقية ضئيلة من تراث التوحيد بغير هدى من الشرع. وتهيأ المجال بذلك كله لمبعث الرسول الخاتم ﷺ ليجدد أمر الدين في أرض الملة الابراهيمية إحياء للتوحيد الخالص وتصديقا للشرع وهيمنة عليه بشرع جديد يكون أساسا للنهضة الدينية الجديـدة.

وازداد خط التاريخ الديني بالرسالة الخاتمة ميلا للاستقامة، ولم يعد فيه مجال لمثل ما جرى لملة إبراهيم فضلا عما كان يجري قبلها للملل الأولى، فقد ختم الله النبوة وحفظ الكتاب وعصم الأمة من الردة المطلقة إلى الجاهلية ﴿ لا تجتمع أمتي على ضلال ﴾. ﴿ ما تزال طائفة من أمتي قائمة بالحق إلى أن تقوم الساعة ﴾ (حديثان).

2 ـ ولكن النمط العام لسنة الدورة بين أحوال الرقي والهبوط في خط سيرة المؤمنين أو ظواهر التجديد بعد الجمود يبقى لأزمة من لوازم تاريخ الدين. وقد أورد القرآن مثلا لذلك في إطار الملة الواحدة لبني إسرائيل ﴿ وقضينا لبني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا. فإذا جاء وعدد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها. فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ (الاسراء 4ـ7). وهكذا جعلها القرآن سنة في ذلك كله تمهيدا لدورة الرحمة الكبرى بنزول القرآن ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (الاسراء 9).

وقد كتب الله سنة الدورة على الحياة الطبيعية، فالنبات أو الحيوان أو البشر يدور بين الحياة والموت ـ يولد ويشب نحو الاستواء ثم يكبر وينتكس إلى الضعف والموت ـ ويحاكي في ذلك دورة النهار والليل ودورة الأفلاك. وتسري على الانسان من حيث اتجاهاته ومؤسساته الانسانية سنن الشباب فالنضج فالذبول. إلا أن سنن الاجتماع ليست حتمية، لأن في الانسان نفخة من روح يفلت بها من التعبد كرها لاقدار الله نحو حرية الاختيار، فيقدر ما يعي وجهة السنن الربانية ويستعين عليها بسننه تعالى في الطبع والشرع يتهيأ له إن شيء من التجدد الموصول.

والدين كما قدمنا حركة توحيد بين التعلق الايماني بالأزل والتعلق العملي بالظرف، بين الانسانية والبشرية، بين الروح والمادة. وتطرأ على الدين أحوال القوة والضعف بقدر ما يمد الانسان أسبابه أو يقطعها مع الوجود الأعلى أو الأدنى. فكما يمد النبات والحيوان علاقات نحو بيئة

بل إن الفقه مرهون بالعمل وبواقع التدين كله. فإذا اعتل ذلك الواقع اعتل الفقه أو حاول الفقهاء أن يديروا الأحكام بصورة استثنائية ليصحححوا أو يقاوموا اعوجاج الواقع، ويتعين على المسلمين في عهد لاحق ـ يدركون فيه تخلف واقعهم عن مثلهم ويحاولون تقويمه ـ أن يقبلوا على الفقه فيقوموا علله ويصوبوا الخطأ فيه أو يعدلوا ما لجأ إليه الفقهاء من المذاهب الاستثنائية مراعاة لواقع يتبدل أو يمكن تبديله.

ومن آيات الجنوح نحو الذبول الديني في الحركات أن تنحجب عن أصول الدين بوسائط من ذات كسبها فتغتر بقوتها وتعكف على زعامتها وتستغني بفكرها عن موالاة التوكل على الله والتوجه القاصد إليه والأخذ المباشر من شرعه. ومن آياته أيضا أن تنقطع عن محيطها الظرفي فتنصرف عن المجتمع وتتقوقع على نفسها وخصوصيتها وأسرارها، وتدبر عن المستقبل إلى ذكريات تاريخها. وهكذا يصبح الايمان عصبية، والولاء في الله محض تعلق بالرموز الموروثة، ويتدهور الاجتهاد الأصولي إلى التقليد، والمجاهدة إلى الركون، ويؤول الأمر بعد الدعوة والانتشار إلى الطائفية والانحسار. ثم يتمهد المجال لحركة تجديدية خالفة تنتظر دورة التاريخ التي تواتي ظهورها.

الأرض والسماء الدنيا ليتغذى ويشتد عوده، كذلك يعيش الدين أو سائر أمر الانسان بتفاعله مع البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة، لكنه مرهون في ذات الوقت بصلته بالغيب والوحي.

هكذا تنشأ الحركات الدينية، ظواهر تجديد وانبعاث روحي، عائدة إلى أصول الدين معتصمة بها منفتحة على بيئة الواقع متفاعلة معها تتغذى بهذا وذاك فتزدهر وتنمو، لكنها في خطر من أن ينبت وصلها ببعض أصول الايمان لقصور في مدى تدينها، أو أن تهي شعاب الايمان بالنسيان وطول العهد، أو من أن تتحول ظروف الواقع من حولها بحاجات وابتلاءات متجددة فيتجاوزها التاريخ. **ومن آيات الجنوح نحو الذبول الديني في الحركات أن تنحجب عن أصول الدين بوسائط من ذات كسبها فتغتر بقوتها وتعكف على زعامتها وتستغني بفكرها عن موالاة التوكل على الله والتوجه القاصد إليه والأخذ المباشر من شرعه. ومن آياته أيضا أن تنقطع عن محيطها الظرفي فتنصرف عن المجتمع وتتقوقع على نفسها وخصوصيتها وأسرارها، وتدبر عن المستقبل إلى ذكريات تاريخها. وهكذا يصبح الايمان عصبية، والولاء في الله محض تعلق بالرموز الموروثة، ويتدهور الاجتهاد الأصولي إلى التقليد، والمجاهدة إلى الركون، ويؤول الأمر بعد الدعوة والانتشار إلى الطائفية والانحسار. ثم يتمهد المجال لحركة تجديدية خالفة تنتظر دورة التاريخ التي تواتي ظهورها.**

3 - إن تعلقات الانسان الروحية تصله بعنصر ثبات لا يضطرب ولا يتحول، فبقدر ما يعتصم الانسان بذلك الحبل المتين يتهيأ له أن يستقيم بأمره. لكن الانسان متعلق كذلك بعنصر مادي مضطرب تأتي من قبله الابتلاءات المتواترة بضروف شتى فلا يسلم معها الانسان من أحوال تذكر ونسيان وتبصر وحيرة ونشاط وجمود.

وفي بعض التقاليد الدينية تصور عقدي بأن خط التاريخ الديني بعد عهد التأسيس الأول ينحدر بأمر الدين انحطاطا مطردا لا يرسم نمطا دوريا. وفي ظل هذا الاعتقاد تتركز آمال الاصلاح أو التجديد نحو حدث أو عهد واحد بعينه مرجو في المستقبل يرد أمر الدين إلى حالته المثلى من جديد. وهذه عقيدة نشأت عند اليهود واعترت النصارى، وقوامها انتظار المسيح يأتي أو يعود عندما يبلغ الانحطاط ذروته بعهد الدجال قبل أن ينقلب الحال صاعدا بذلك الظهور. ولعلها تحريف للبشريات التي جاءت في الوحي القديم بمبعث عيسى ثم بمبعث محمد عليهما السلام.

وقد انتقلت العقيدة بأثر من دفع الاسرائيليات إلى المسلمين، وما يزال جمهور من عامة المسلمين يعولون عليها في تجديد دينهم، وفشوها هو الذي أغرى كثيرين من أدعياء المهدية والعيسوية، وبعضهم تحركه نية صادقة للاصلاح والتجديد لكنه بتربيته الثقافية التقليدية وبتربية العامة الذين يخاطبهم لا يجد وجها لشرعية الخروج على القديم إلا بحجة المهدية النهائية. **ولعل تلك العقيدة هي التي ألهت المسلمين عن القيام بعبء الاصلاح وأقعدتهم في كثير من حالات الانحطاط المستفز مرجئة ينتظرون مجيء صاحب الوقت.**

ومهما يكن فإن منطق العقيدة القرآنية حول تاريخ الدين لا يتيح مجالا بعد النبي الخاتم لانتظار عاقب يستأنف النبوة أو ينسخ من الشريعة السماحة التي تغري أهل الكتاب على المؤمنين. بل هدى القرآن لخلف المؤمنين إن رأوا تغيرا أحالهم إلى فساد وذل أن يردوا ذلك إلى تغير ما بأنفسهم فيتوبوا إلى الله ليتوب عليهم بالصلاح والعز. وهدى القرآن في قصة الدين أقرب إلى توال الخطأ والمتاب والسيئة والحسنة منه إلى الخط المستقيم. بل يصل القرآن ذكر ظاهرة الدورة في الحياة والموت في الطبيعة بها في شأن الدين. وفي أحاديث الرسول ﷺ ما يدل على أن للدين فورات وفترات وأن الخير والشر يتعاقبان وأن القرون تختلف وأن الأئمة المهديين كما الدجالون ظاهرة متكررة مع موجات سيرة الدين لا حوادثُ مفردة.

الدكتور حسن الترابي

عن مجلة الفكر الاسلامي السودانية

في العدد المقبل :

- *الأصولية والسلفية والتجديد*
- *أحوال في ظاهرة التجديد.*
- *حركة التجديد المعاصرة.*

دراسة

وقفات مع محمّد أركون من خلال إنتاجه وفكره

الأستاذ محمد بريش

يواصل الأستاذ محمد بريش في هذا العدد وقفاته مع الدكتور محمد أركون من خلال إنتاجه وفكره. وقد نشرنا في العدد السابق مدخل هذه الوقفات الذي تناول بكيفية موجزة ما تشهده الثقافة العربية الاسلامية من مخاض حث أهل اليسار، للخروج من الأزمة، على تقديم مشاريع لاعادة القراءة للتراث بمافيه الوحي والسنة من منظور مادي علماني لقطع الطريق على كل رجوع سليم للشعوب العربية الاسلامية إلى أصول دينها وشريعة ربها.

وفي هذا العدد، ننشر الفصل الأول من الدراسة/ الوقفات الخاص بالتعريف بصاحب مشروع إعادة القراءة للقرآن الدكتور محمد أركون على أن نواصل نشر بقية الفصول في الأعداد المقبلة إن شاء الله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ، وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ (الحج : 8 و9).

الفصل الأول

«من هو محمد أركون؟»

الأستاذ محمد أركون مفكر جزائري، إزداد في تاوريرت ميمون بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر سنة 1928. قضى فترة التعليم الثانوي بوهران والعالي بالجزائر العاصمة(1)، ثم أتم تعليمه العالي بباريس حيث حصل سنة 1955 على شهادة التبريز في اللغة العربية والأدب العربي. عمل مدرسا بثانويات ستراسبورغ كما كان يعطي دروساً بكلية الآداب بنفس المدينة ما بين 1956 و 1959. ثم عمل أستاذا مساعدا بجامعة السوربون ما بين 1960 و 1969 حيث كان يحضر في نفس الوقت دكتوراه الدولة حول موضوع الانسية العربية في القرن الرابع الهجري، وتركزت على النتاج الفكري للمؤرخ والفيلسوف مسكويه. وقد حصل أركون على دكتوراه الدولة هذه في الآداب من نفس الجامعة المذكورة سنة 1969، أصبح بعدها أستاذا محاضرا بجامعة ليون الثانية ما بين 1969 و1972، وأستاذا للغة العربية والحضارة الاسلامية بجامعة باريس الثامنة ما بين 1972 و 1977، وأستاذا بالجامعة الكاثوليكية بلوفان لانوف ما بين 1978 و 1979. ألقى عدة دروس ومحاضرات بعديد من المدن والجامعات غربية وعربية كالرباط وفاس والجزائر وتونس ودمشق وبيروت وطهران وبرلين وامستردام وهارفارد وبرانستون وكولومبيا ولوس أنجلز ودنفر وغيرها. يشغل حاليا كرسي تاريخ الفكر الاسلامي بجامعة السوربون الجديدة ومدير لمعهد الدراسات العربية والاسلامية بها.

جل مؤلفاته باللغة الفرنسية، وقد تُرجم البعض منها مؤخرا إلى العربية وكذلك بعض نصوص محاضراته التي نشرتها بعض المجلات العربية. أهم هذه المؤلفات:

1 ـ مساهمة في دراسة الانسية العربية في القرن الرابع. الهجري: مسكويه، فيلسوفا ومؤرخا (1970).

«Contribution à l'étude de l'humanisme arabe au IVe/Xe siècle: Miskawayh philosophe et historien», Editions Librairie Philosophique. J.Vrin. Paris, 2ème édition 1982.

وقد قامت مجلة «الفكر العربي المعاصر» بنشر الفصل الرابع من الكتاب مترجما إلى العربية بقلم الكاتب هاشم صالح(2).

2 ـ ترجمة كتاب «**تهذيب الأخـلاق**» لمسكويه إلى الفرنسية مع مقدمة ودراسة، دمشق 1969.

3 ـ «**محـاولات في الفكـر الاسـلامي**»، الطبعة الأولى سنة 1973، وقد أعيد طبعه للمرة الثالثة مؤخرا في يونيو 1984،

«Essais sur la pensée islamique». Editions Maisonneuve et Larose 1ere édition 1973, 3ème 1894,

وهو عبارة عن مجموعة مقالات ونصوص محاضرات نشرت في مجلات استشراقية أو حوليات تهتم بالعالم الاسلامي أو موسوعات فرنسية تاريخية أو أكاديمية ما بين 1964 و 1969، تطرق فيها أركون إلى بعض أفكار مسكويه وأبي الحسن العامري والغزالي والماوردي مع مدخل لدراسة الفكر الاسلامي «التقليدي».

4 ـ «**الفكـر العربـي**» طبع ضمن سلسة «ماذا أعرف؟» «Que sais je ?» الفرنسية سنة 1975، وأعيد طبعه سنة 1979. ترجم إلى العربية على يد الدكتور عادل العوا وطبع ضمن سلسة «زدني علما» التي تنشرها «دار عويدات» ببيروت سنة 1982.

5 ـ «**الاسـلام : الأمـس والغـد**» بالمشاركة مع لويس غاردي بالفرنسية، الطبعة الأولى سنة 1978 وأعيد طبعه سنة 1983 (انظر الملحق الخاص بهذه الترجمة بعد الفصل الرابع من هذه الدراسة).

6 ـ «**الاسـلام : ديـن ودنيـا**» بالمشـاركـة مع ماريو أروزيو والمستشرق موريس بورمانس، المستشار لدى الكتابة الايطالية لغير المسيحيين «l'Islam: Religion et Société, Editions du Cerf- Rencontres Islam», 1982.» وهو عبارة عن حلقة إذاعية من برنامج «الثقافة الدينية» في إذاعة الجمهورية الايطالية «راديوطر» «Radiotre» تحت عنوان «الزمن والأيام»، كان موضوع الحلقة هو «الاسلام : الدين والمجتمـع» تحت إشراف المذيع الايطالي ماريو أروزيو، وهي الحلقة الافتتـاحية للبرنامج. ولقد قدم محمد أركون للكتاب سواء في طبعته الايطالية أو طبعته الفرنسية بمقدمة على شكل تنبيه أشار فيها إلى أن الحوار الذي أجري معه لم يحضر له مسبقا وإنما كان تلقائيا، وبذلك فالحوار ومختلف الأجوبة اكتفي فيهما بطرح الأفكار وتوضيح المفاهيم. كما أشار في المقدمة الفرنسية إلى أنه من أجل ذلك اضطر إلى إعادة صياغة بعض الفقرات من حواره بالايطالية مع زيادة بعض الاضافات.

كان يقوم بالترجمة من الفرنسية إلى الايطالية حين إذاعة البرنامج المذيع م. أروزيو. ودار الحديث مع أركون حول: «التوترات النبوية والحقائق التاريخية للاسلام» (Tensions prophétiques et réalités historiques de l'Islam)، ومع المستشرق موريس بورمانس حول: «الاسلام بين المطالبة بالرجوع إلى الأصول وضرورة الاسراع بالجديد» (l'Islam entre le rappel des origines et l'urgence du nouveau). وتجدر الاشارة إلى أن الكتاب طبع بالايطالية سنة 1980، وبالفرنسية سنة 1982، وقام بترجمته موريس بورمانس.

7 ـ «**قـراءات للقـرآن**» بالفرنسية (دجنبر 1982)، والكتاب يتضمن سبعة بحوث متفرقة سبق لمحمد أركون أن نشرها في السنوات الماضية ضمن كتب ومجلات غربية استشراقية، هذه البحوث هي :

- «كيف نقرأ القرآن»، وهذا الفصل عبارة عن «بحث» قدم به أركـون ترجمـة معـاني القرآن بالفـرنسية التي قام بها المستشرق كازيميرسكي (1808 ـ 1887)، دار كارنيي فلاماريون ـ 1970، باريس. وهي ترجمة تعوزها الامانة العلمية والفهم الصحيح لمعاني القرآن ومقـاصـده علاوة على التحريف الواضح في بعض الآيات. طبعت إلى ما يناهز ثلاثين طبعة ذكر أغلبها الدكتور صالح البنداق في كتابه «المستشرقون وترجمة القرآن»، ص 171، والجديد في الطبعة التي تتصدرها مقدمة أركون في الديباجة أنها تجنبت الحلةالقشيبة التي امتازت بها سابقاتها فصدرت في شكل بسيط مكن من يسر تناولها في السوق وزاد من مبيعاتها. واذا كان كازيميرسكي بتحريفاته وخلطه للكلمات قد أشار إلى أن القرآن تتناقض بعض آياته، فإن أركون قد ألمح لقارىء المقدمة أن القرآن لا يعدو أن يكون خطابا ذا بنية أسطورية..

وقـد قامت مجلة الثقافة الجديدة في عددها المزدوج 27/26، الصـادر في أواخر مارس 1983، بنشر هذه المقـدمـة تحت عنـوان «**الوحي، الحقيقة التاريخ** (نحو قراءة جديدة للقرآن)»، وقام بالترجمة إلى اللغة العربية الكاتب المغربي العربي الوافي.

- «مسألة صحة نسبة القرآن إلى الله»، وهو بحث نشر سنة 1977،
- «قراءة الفاتحة»، وهو بحث نشر بليدن سنـة 1974،
- «قراءة سورة الكهف»، وهو بحث نشر سنـة 1980،
- «هل يمكن الكلام عن العجيب في القرآن؟»، وهو نص محاضرة ألقـاهـا أركـون ضمن النـدوة التي نظمتها الجمعية الفرنسية لازدهار الدراسات الاسلامية في مارس 1974 تحت شعار «الغريب والعجيب في الاسلام»، وقد نشرت دار «جون أفريك» سنـة 1978 أعمال الندوة بأتمها ومن ضمنها بحث محمد أركون مع المناقشة الكاملة التي تلته، وأحسن الدكتور محمد أركون بإضافتها إلى نص محاضرته في كتابه المذكور.
- «مـدخـل لدراسـة العلاقة بين الاسلام والسياسة»، وهو بحث قدم من طرف أركـون في إطار المناظرة الدولية لعلوم الاجتماع الدينية المنعقدة بإيطاليا سنة 1979. وقد قامت بنشره بعد الترجمة إلى العربية مجلتان عربيتان، الأولى مجلة «الباحث» في عددها السادس، يوليوز ـ غشت 1980، ص 9 ـ 21 والثانية مجلة «مواقف»، عدد 37 ـ 38، بترجمة وملاحظات هاشم صالح، ص 154 ـ 173، والترجمة الأولى بمجلة «البـاحـث» تنقصهـا الأمـانة العلمية حيث أن أغلب الآيات القرآنية التي يحتويها البحث مليئة بالأخطاء.

- «الحج في الفكـر الاسـلامـي»، وهو بحث نشر لأركون ضمن كتاب طبع بتونس سنـة 1977 تحت عنوان: «الحج إلى مكـة».

وأضـاف محمد أركون لبحوثه القديمة هذه بحثا جديدا عنونه «حصيلة الـدراسـات القرآنية وآفاقها»، انتقد فيه مناهج القدماء في الدراسات الاسلامية وارتكز فيه خاصة على كتاب «الاتقان في علوم القرآن» للسيوطي، وقد قامت مجلة 15 ـ 21 التونسية بترجمة ونشر الجزء الأخير من هذا الفصل تحت عنوان «آفاق الدراسات القرآنية»، بتقديم وترجمة الدكتور عبد المجيد الشرفي في عددها الخامس ـ ماي 1983 ـ ص 26 ـ 29.

8 ـ «**نحـو نقـد للعقـل الاسلامـي**»، على غرار «نقد العقل الخالص» لايمانويل كانط، أو «نقد العقل الجدلي» لجان بول سارتر، وهو آخر كتب الدكتور محمد أركون (يونيو 1984)، ضمنه مقالات سبق نشرهـا في كتب ومجـلات وحـوليات متفرقة وقدمه بمقدمة فيها عصارة فكره بعنوان «كيف ندرس الفكر الاسلامي»، قامت بنشرها مجلة «الفكر العربي المعاصر»، عدد 32 ـ أكتوبر 1984 ـ تحت عنوان «المنهجية المعاصرة والفكـر الاسـلامي» بترجمة هاشم صالح. وأهم البحوث المدرجة في الكتاب هي:

● «نحو إسلاميات تطبيقية»، وهو الفصل الأول من الكتاب، وموضوعه نص محاضرة ألقاها محمد أركون في مؤتمر الدراسات الشرقية الـذي انعقد في باريس سنة 1976، قامت مجلة «الفكـر العـربي المعاصر» بنشرها في عددها المزدوج 7/6 ـ أكتوبر ـ نوفنبر 1980، ص 27 ـ 35 ترجمة هاشم صالح بعنوان «حول الانتروبولوجيا الدينية ـ نحو إسلاميات تطبيقية».

● «مفهـوم العقـل الاسـلامـي» وهـو الفصـل الثاني، نشر ضمن حولية إفريقيا الشمالية لسنة 1979، المجلد الثامن عشر، وأعيد نشره ضمن كتـاب «المغرب العربي المسلم سنـة 1979» الذي نشره «مركز الأبحاث والدراسات لمجتمعات البحر الأبيض المتوسط» سنـة 1981، ص 305 ـ 339. وقد قامت مجلة «الزمان المغربي» في عددها الثامن عشر الخاص عن الدين والدولة بنشره مترجما إلى العربية، دون أن تشير إلى أصل المقال ولا الكتاب الذي اقتبس منه، كما أن المترجم تنقصـه الخبرة وسعة الاطلاع، وهو أمر يستخلص بسهولة من ركاكة الأسلوب والترجمة الحرفية لعديد من الكلمات مما مس بالمعنى المقصود في النص(3).

● «ملامـح الوعـي الاسلامـي»، وهو الفصل الثالث، نشر سنـة 1977 ضمن كتاب أصدرته منظمة اليونسكو بعنوان «فكر وقيم الاسـلام»، ص 67 ـ 93، وقد تحامل فيه أركون على أنور الجندي معتمدا على كتابه «الاسلام والدعوات الهدامة».

● «السلطـة والسيـادة في الاسـلام» وهـو الفصل الخامس، نشر هذا البحث ضمن كتاب معنون «السلطة والحق» سنـة 1981، ص 145 ـ 182، وقامت بنشره مترجما إلى العربية مجلة «الفكر العربي المعـاصر» ـ عدد 12 ـ ماي 1981، ص 46 ـ 56، تحت عنـوان «السيادة العليا والسلطات السياسية في الاسلام»، ترجمه هاشم صالح.

وقبل أن نقدم على طبع هذا الفصل من مقالنا بالمجلة، علمنا أن مركز الإنماء القومي ببيروت والمشرف على إصدار مجلة "الفكر العربي المعـاصر" قد أقـدم على إصدار الطبعة العربية للكتاب المذكور تحت عنوان: «**تاريخية الفكـر العربـي الاسلامـي**» بترجمة هاشم صالح.
وهذه الطبعة العربية تثير من جانبنا ملاحظتين:

☆ الأولى عدم ذكـر إسم المترجم هاشم صالح على واجهة غلاف الكتاب رغم الجهد الذي بذله في الترجمة وتوضيح بعض أفكار أستـاذه محمد أركون، وهو إجحاف في حقه من طرف الناشر (مركز الانماء القومي)،

☆ الثـانية أن الـطبعـة العـربية تختلف عن نص الكتـاب بالفرنسية، فالفصول الستة هي هي في كلا الكتابين إلا أنه ابتداء من الفصل السابع استبدل أركون الفصول الستة الباقية من كتابه بالفرنسية بفصلين آخرين هما:

- «الخطابات الاسلامية، الخطابات الاستشراقية والفكر العلمي»(4)،
- «الاسـلام والعلمنـة»(5)،

وبهذا يصبح الكتاب المترجم كتابا آخر مخالفا للكتاب الأصل بالفرنسية. وقد أشار محمد أركون في مقدمة كتابه بالفرنسية أنه قد رضخ لرغبة الناشر في عدم إدراج عديد من نصوص محاضراته ومقالاته، ومن ضمنهـا المقالين المشار إليهما، ولعل الرغبة الأكيدة والملحة في إدخال العلمنـة إلى صفـوف مثقفي الشعـوب الاسـلامية، وجعل من كانوا يستـترون منهم بتبنيهـا يجهـرون بها ويدعون إليها، هي التي حدت بكاتبنا إلى إدراج فصل «الاسلام والعلمنة» في الطبعة العربية للكتاب والذي أعادت نشره مجلة «دراسات عربية» في عددها الخامس، مارس 1986، لتوسع بذلك شبكة قرائه. ولن يفوتنا أن نقتبس منه في دراستنا هذه حول الفكـر الأركوني بعض اللقطات للدلالة على علمنة هذا الفكر ودعوته للعلمانية.

ورغم أن القارىء لهذا المقال سيتمكن من تكوين نظرة حول فكـر الدكتور محمد أركون من خلال إطلاعه على حديثنا في الفصل الثـاني المخصص للدوافـع التي دعتنا إلى تناول مشروع محمد أركون بالدراسة والبحث، وكذلك الفصل الرابع المتعلق بعرض آراء وأفكار مفكرنا نقلا عن نصوص محاضراته وكتبه، فإننا ارتأينا هنا ونحن بصدد التعريف به أن نعرض موجزا لفكره ونظرته للفكر الاسلامي، ولهذا سنفسـح المجـال له ليحدثنا بنفسه عن فكره وأهدافه، ثم ننتقل إلى استضـافة بعض مؤيديه أو تلامذته من العالم العربي ليدلوا لنا بآرائهم نحوه، دون أن نمنع أنفسنا من حق المشاركة في الحوار الصامت الهادىء.

ونود أن نشير إلى أننا مهما غصنا في بحر آراء وأفكار الدكتور محمد أركون، ومهما درسنا كتبه ونصوص محاضراته، ومهما أنصتنا لتصريحاته واستجواباته، فإننا لن نستطيع أن نعرف معرفة شاملة جميع الأهداف والغـايات التي يصبـو إلى تحقيقهـا من خلال نتـاجه الفكري وتحركه الثقافي. ذلك أن أركون صرح شخصيا أنه يحتفظ لنفسه بمجموعة من

الآراء في الفكر الاسلامي والثقافة العربية الاسلامية وعدم توضيح الأهداف المتوخاة من خلالها إلى أن تنضج الثقافة العربية وتستعد الشعوب الاسلامية لتقبلها. يقول محمد أركون :

«... فالحرية السياسية غير موجودة للأسف في الدول المعاصرة كما أنه لا يسمح للمثقفين العرب بأن يكتبوا بحرية في صحف أوطانهم، وأقصد هنا الكتابة العلمية لا الكتابة السياسية. وإذا كتبت شيئا عن هذه الموضوعات فلا بد أن تراقب نفسك، لذلك لا يمكن أن تقول كل ما يجب أن يقال، ولا يمكن أيضا أن نطرح بعض المسائل بسبب الرقابة وهي أحيانا ذاتية. أنا مثلا كأستاذ وباحث أود أن أطرح بعض الأسئلة، لكني لا أستطيع أن أفعل ذلك كما يقتضى العلم، لأني أريد أن أبقى في اتصال مع العرب كي نتقدم في حل بعض المشاكل دون أن تنقطع الصلة بين الباحث وسائر الناس. لهذا أقبل بالرغم من أني أتمتع بكل حريتي هنا كأستاذ في السوربون أن أفرض على نفسي هذا النوع من الرقابة، لأني أفهم أن الباحث لا يحق له أن يجرح نفوس الذين لا يزالون غير مستعدين ليفهموا ويدركوا بعض المشاكل التي يمكن أن تطرح. هذه الأمور كلها تجعل الفكر العربي لا يقدم على طرح المشاكل التي لابد من طرحها في هذه الفترة، وعلى التخلي عن هذه المواقف الايديولوجية التي يفرضها نوع من الاجماع الاجتماعي والسياسي السائد عندنا. هذه هي العراقيل وهي كما ترى نفسية وابستمولوجية... هناك محرمات» . (6)

وفيما يلي مجموعة من مقالات وتصريحات محمد أركون مقتبسة من بعض محاضراته وكتبه واستجوابات له مع بعض المجلات العربية، عمدنا إلى نقلها بشكل يجعل منها حوارا منسقا يقدم من خلاله محمد أركون أفكاره وآراءه دون تعسف أو اختزال، مجتنبين كل حذف مقصود أو تضخيم مفتعل لما تحمله الفقرات من معان وأفكار إلا ما يقتضيه الاختصار ويدعو إليه التركيز.

وكما سيلاحظ القارىء، فإن الفقرات الأولى تجلب الباحث وتستهويه وتثير فضوله ليطلع على إمكانية توظيف الاتجاهات الجديدة للعلوم الانسانية في الفكر الاسلامي عامة، وفي الدراسات القرآنية خاصة. وقد حرصنا على إدراجها نظرا لما تقتضيه الأمانة في البحث، وما يستلزمه التنبيه لما يحتويه الخطاب الأركوني من استهلاك للأسلوب الجاذب المغري من خلال الدعوة إلى التحديث والتجديد في مجال الفكر والبحث.

يقول الدكتور محمد أركون :

◆ «... أعود إلى التراث لأن المجتمعات العربية تعود إليه وتطالب به. إذن الأمر لا يتعلق بي شخصيا ولكنه يتعلق بالمجتمع العربي. أسمع في جميع البيئات العربية جميع الناس يطالبون بالرجوع إلى التراث ويستخدمون التراث كوسيلة إيديولوجية ووسيلة للكفاح، ويزعمون أنهم يستخدمونه كوسيلة ثقافية علمية من أجل مكافحة الغرب الذي تغلب ثقافيا على المجتمعات العربية. (7)

◆ «... أنا أنتمي في فرنسا، إلى جامعة معروفة جدا بالحرية الواسعة التي تمنحها لكل أعضائها لتوجيه أبحاثهم في السبل التي (يرونها) أفضل، أفضل علميا، وأفضل من حيث ما يمكن أن يعتبره كل فرد على حدة بمثابة التزامه الشخصي، في عالم المعرفة وفي المجتمع الذي يعمل فيه والمجموعة التي ينتمي إليها في الآن عينه. والشيء الثاني الذي يروق لي، وأنا مبتهج بذكرك له وهو كوني صاعدا من ثقافة أقول إنها إسلامية، وأتردد بأن أقول عربية لأن المشكل مطروح في الجزائر كما تعلم، لنقل (إنها الثقافة العربية الاسلامية)، أجل هذا يناسبني، وقد أحسست دائما بتضامن تاريخي مع المجموعة الاسلامية، في التاريخ، في القيم، في التدريس، والتي طبعتني في أسرتي الصغيرة حيث كان الاسلام يتمتع دوما بحضور حي وفاعل، ولأنني أحس بهذا التضامن مع هذا المجموع التاريخي فإن أبحاثي وأعمالي الجامعية ارتبطت وتلبست بها. وقد عبرت منذ بعيد، عن هذا الموقف الذي يقوم على البحث عن مسائل، كباحث ومدرس، ليس فقط في المضمار الجامعي وبالخضوع إلى مقتضيات جامعية، ولكن انطلاقا من حقل محدد، هو حقل المجتمعات الاسلامية. وكمثال على هذا فإن كل المشاكل التي عشتها في الجزائر شخصيا حين كنت طالبا، وقت الحضور الفرنسي، وفي جامعة كانت خاضعة لوزارة فرنسية، أذكر أنني عشت احتدادات قوية شأن كل جيلي في الجزائر بين تعليم يجيئنا من فرنسا وبين مشاكلنا كجزائريين تتعلق بالعصرية، والتي لم نكن نجد من يجيب عنها في الجامعة. وقد أحسست بهذا عميقا وطبعني، ورسبت في نفسي قناعة، هي، في آن واحد، ثقافية وتاريخية، بأن أجيب وبكيفية منهجية على أسئلة مطروحة من قبل المجتمعات، ومنها مجتمعي. ولكن عوض تقديم اجابات إيديولوجية، وبطريقة نضالية، أي بالانتماء إلى حزب سياسي، أقول عوض ذلك اخترت شخصيا الطريق العلمي، وهو اختيار عمدي، ولم أتخل عنه أبدا: لقد اخترت الرد على تلك الأسئلة على الصعيد الثقافي والعلمي، وبمنهج البحث العلمي، هذا هو ما أتبناه قويا بالنسبة لموقفي الشخصي،... إن هذا يجعلني أحارب على جبهتين، أحارب داخل المجتمع العربي الاسلامي اتجاها ذا سيطرة وتوسع، وهو الاتجاه الذي يريد إعطاء الأولوية للحل الايديولوجي لمشاكلنا بدل حل قائم على البحث العلمي. وفي نفس الوقت أحارب ضد نوع من الاستشراق يزعم المراكمة المعرفية، ومراكمة معلومات تقنية عن هذه المرحلة من التاريخ حول تلك المسألة إلخ... دون الاهتمام بربط نشاط الباحث بالمتطلبات القائمة والملحة لمجتمعاتنا. إن هذا واضح تماما، ويعرفه طلابي في ما أدرسه، وهو بين، كذلك، في ما أنشره...

إن أحد ميادين تطبيق هذا المسار الذي اخترت، والذي فرضته على الأحداث كذلك، هو دراسة القرآن. ولكنها دراسة بمثابة إعادة قراءة مستندة، في آن واحد، على كل التجارب الثقافية التي بلورها الفكر الاسلامي على قاعدة القرآن في المرحلة الكلاسيكية، وكذا على الاستعمال الحالي للنص القرآني من قبل المسلمين في مختلف المجتمعات الاسلامية. وهو استعمال مغاير لما كان عند مفكرينا القدامى، وهذا من الناحية الثقافية. وبالطبع فإن المسلمين أحسوا أنهم يعيدون إحياء القول القرآني، إنهم يعيشون بالقول القرآني، ولكنهم لا يحسون، وهذا بسبب غياب مسعى ثقافي ملائم، إنهم يعيشون القرآن إيديولوجيا بكثافة، لأن القرآن يشغل وظيفة سيكولوجية هامة، إن هذا لا جدال فيه، ولكن هذا أيضاً يعمي المسلمين عن أن يعيشوا القرآن ثقافياً كما عاشه فقهاء وفلاسفة المرحلة الكلاسيكية. إن هذا يشغلني ويسكنني وجوديا وثقافيا، وهو ما أعنيه بإعادة قراءة القرآن، وهو مثال يبين تجذر البحث والتأمل، فيما يجري حاليا في الاستعمالات التي نقوم بها نحن المسلمين، بصرف النظر عن استشراق أو غربنة، استعمالات بل مناورات نقوم بها لأهداف وحاجات عاجلة، هي ليست حاجات ثقافية، ولكنها سياسية، اجتماعية، سيكولوجية، وبصنيعنا هذا نقيم عوائق أمام دخول حقيقي للثقافة الاسلامية، وللصعوبات الراهنة لاستعمال هذه الثقافة.

وبالطبع، فمن أجل إكمال هذا العمل، أي دراسة الماضي بتاريخ، وبمنهج تاريخي نقدي لا يتنازل في شيء لا للتمجيد أو الزهو ولا للسهولة التي تتواتر عند العديد ممن يبحثون في هذا الميدان، ويتحدثون عن العصر الذهبي (.)، للوصول إلى هذا الفكر الكلاسيكي وإلى غناه، والنظر في كيفية ترابطه مع المتطلبات الحالية، فإنني أعمد إلى الاستمداد مما أسميته الفكر العلمي المعاصر». (8)

◆ «. . . إن البحث العلمي المعاصر لم يعن حتى الآن إلا قليلا، وفي جامعات معدودة ومحددة، بالتاريخ المقارن للآداب والأديان والنظم السياسية وطرق الانتاج ودراسة اللغات. إن الفكر العربي في حاجة ماسة إلى هذا الاتجاه في البحث العلمي. وهو كان قد استغل ثقافات عديدة في عصره الكلاسيكي الذهبي، ثم يجابه الآن ومنذ القرن التاسع عشر تفوق الثقافة الغربية التي يتلقاها كغزو فكري أكثر مما يجابه تحدياته بوسائل علمية فكرية منفتحة على الاشكالية الحديثة.

إني مرتبط بالمعطيات الواقعية المستمدة من مشاركتي في التطور التاريخي للمجتمع الجزائري والمغربي بشكل عام، كما أني أحاول متابعة التيارات العلمية في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية وأخص بالذكر منها علم الالسنيات الذي يختلف كثيرا عما يسمى بعلم اللغة أو فقه اللغة. كما أني مهتم بعلم التاريخ كما تمارسه مدرسة الحوليات منذ الثلاثينات. ثم إني أتابع ما ينتجه علم الانتروبولوجيا والاتنولوجيا وعلم النفس التاريخي والسوسيولوجيا التاريخية وفلسفة العلوم.

كل هذه الاتجاهات العلمية في البحث كانت قد ظهرت بعد سني الخمسينات والستينات، وهي تصاحب اليوم الانتقالات الحضارية والثورات السياسية والاجتماعية التي تتابع في العالم منذ حوالي ثلاثين سنة. إنه لابد للفكر العربي الاسلامي إذا ما أراد أن ينهض من متابعة هذه التيارات. لا ليخضع لها خضوع المتعلم المقلد، وإنما لكي يشارك في تطويرها وتوجيهها ويشارك في المناقشة الخلاقة التي تدور الآن حول صحتها العلمية ووظائفها التاريخية. بهذه المشاركة العلمية وبها وحدها يمكن أن ننتقل من مرحلة التلقي والتأثر والتقليد (الذي يمتزج بالرفض وعقد النقص والمماحكة الايديولوجية العقيمة) إلى مرحلة الانتاج والخلق والسيادة الفكرية». (9)

◆ «. . . لم يزل قصدي الأول في البحث والنشر توجيه عامة المسلمين نحو الطرق المستحدثة في التفكير والاتصال بالتاريخ وتفهم ما يجري في مجتمعاتنا المعاصرة. . . إن المشكلة أعوص مما يتصوره معظم الناس بل المتخصصون بمهمة التعريب، إن الباحث العربي في ميدان العلوم الانسانية بعد الخمسينات، يقف لا محالة حائرا بين اثنين: إما أن يعتني بإحياء التراث مفتشا عن المخطوطات القديمة، جامعا لها، محققا لبعضها على الطريقة الفيلولوجية السليمة، معلقا عليها على الطريقة التاريخية المستوعبة للأسماء والأخبار والأماكن والأفكار، وإما أن يميل إلى تأليف الكتب التاريخية النقدية مستخرجا من الوثائق القديمة ما تحتويه من معلومات وسير وتأويلات ونظريات. وإذا اختار عمل التأليف والاستنباط الانتقادي، فلا بد له أن يجتهد اجتهادين مختلفين: يجب عليه أن يتبع الانتاج العلمي الضخم في جميع اللغات وسائر الميادين من ألسنية (أو اللسانيات) وانتروبولوجيا واتنولوجية وسوسيولوجية وعلم النفس والنقد الأدبي والتاريخ طبعا (يكاد علم التاريخ كما يمارسه المتخصصون اليوم يجمع بين العلوم الانسانية كلها)، ثم على الباحث العربي أن يلم في نفس الوقت بكل ما أبدع القدماء من نظريات واصطلاحات ومناهج، وما جمعوا من أخبار ومعلومات لا لينقلوا ذلك إلى لغتنا العصرية مع شيء من التعديل والترتيب والتسهيل للمواد، بل ليبرزوا روح كل عصر من العصور وأسرار كل علم من العلوم ووظائف كل مذهب وكل تيار إيديولوجي وانحيازات كل شخصية من الشخصيات التاريخية.

يعني هذا أن الباحث المعاصر قد انتقل، أو يجب عليه أن ينتقل من التاريخ الراوي المؤكد للايديولوجية الصريحة أو الضمنية التي لا يخلو منها أي إنتاج بشري، إلى التاريخ المثير لمشاكل التفهم والانتقاد لجميع ما وصل إلينا مما نسميه تراث». (10)

وكم كان بودنا أن نسمع ونتبع ما يقول أركون ونحقق معه الهدف المنشود بإعادة تدوين التاريخ العربي الاسلامي الاجتماعي والسياسي والثقافي مستفيدين من إيجابيات العلوم الانسانية والاجتماعية الحديثة، لولا تصريحات أخرى عبر عنها جعلتنا نتحفظ عن كل مساندة لمشروعه، ونأخذ حذرنا من كل دعوة يدعو إليها أوهدف يصبو إليه. من هذه التصريحات:

◆ «إن الغرب بشكل عام وفرنسا بشكل خاص قد وقعا في موقف متطرف ضد الدين يقابل الموقف المتطرف السائد في المجتمعات الاسلامية والذي يستبعد كل حرية فكرية أو نقدية باسم الدين. وبقدر ما يمد المسلمون من سلطة الدين لكي تشمل مجالات الوجود والمجتمع من أجل ضبطها والسيطرة عليها بقدر ما نجد المتطرفين العلمانيين في فرنسا يخلون ساحة الحياة العامة من كل ما هو ديني. **أنا مع العلمنة وبقوة**، ولكني أرفض أن يمنع المتطرفون العلمانيون دراسة الأديان بصفتها ظواهر ثقافية كبرى عاشتها البشرية خلال قرون وقرون. إني أعرف مثقفين فرنسيين يخجلون من التحدث أمام جمهور ما عن القضايا الدينية خوفا من أن ينعتوا بأنهم رجعيون أو متخلفون. . . ينبغي أن لا ننتقل من موقع متطرف إلى موقع آخر. وينبغي أن نتفق على مفهوم العلمنة فلسفيا. ما العلمنة؟ إن العلمنة هي موقف للفكر أمام مشكلتين:

- **الأولى**: مشكلة المعرفة. كيف يمكن أن نعرف الظواهر؟ كيف يمكن أن نفهم العالم بشكل دقيق ومطابق؟ لا يجوز حرمان الانسان من حق الفهم بحجة أي شيء كان. . .

- **الثانية**: كيف يمكن إيصال هذه المعرفة بعد اكتشافها وبلورتها إلى الآخرين؟ عندما نتوصل إلى نتائج جديدة ومحددة في مجال علمي ما، تبقى علينا مسؤولية لا تقل أهمية عن الاكتشاف هي مسؤولية التوصيل، أي توصيل هذه النتائج إلى الآخرين، إلى الجمهور. لقد عانيت من هذه الناحية كثيرا ولا أزال فيما يخص بحوثي المتعلقة بالفكر الاسلامي والفكر العربي. إنها مشكلة شاقة. . .» (11)

◆ «. . . إن الكائن الانساني مركب من العقل والعاطفة أو الخيال معا، وليس من أحدهما فقط. ولكننا نجد في بعض الأوساط التقليدية التي تسودها العلوم النقلية أن الجانب العاطفي والخيالي يتغلب على المعرفة النقدية. فمثلا نجد أن ممارسة كتابة التاريخ لم تؤثر مطلقا على العلماء المسلمين المعاصرين الذين يستمرون في التكلم عن الحديث النبوي على طريقة الحلي وابن تيمية. إنهم لا يعرفون المناهج الحديثة لعلم التاريخ ولا الاشكالات الحديثة التي يطرحها المؤرخون اليوم (12). وهم يجهلون بُعد الخيال أو «المخيال؟» جهلا تماما. بمعنى آخر، إنهم يعيشون داخل ذهنية خيالية ولكنهم يتوهمون أنهم يتحلون بعقلانية عميقة وحقيقية. . . هذه هي المشكلة

العويصة. إنهم يعيشون داخل الخيال الجماعي (الذي يمثل قوة اجتماعية ضخمة) ويعبرون عنه وكأنه يمثل عقلانية عليا متفوقة لا تقبل النقاش (يعني أركون بهؤلاء كما أشار الدكتور هاشم صالح الذي أجرى معه الحوار والذي اقتبسنا منه هذه الفقرة السادة أنور الجندي ومحمد سعيد رمضان البوطي ومحمد الغزالي وغيرهم ممن تلقى كتاباتهم نجاحا في الأوساط الاسلامية). ولذلك فمن الصعب أن نبين لهم أن ما يعيشونه ويفهمونه وكأنه عقلانية كاملة لا يعتريها النقص ليس في الحقيقة إلا عبارة عن تصورات منقولة تقليديا عن طريق المخيال الاجتماعي. هكذا تنعكس الأمور تماما. وبدلا من أن يكون الديالكتيك واقفا على رأسه يصبح واقفا على قدميه. هذا ما ينبغي تبيانه عن طريق التحليل التاريخي...

إن التراث الثقافي المسيطر في بلد ما لا يمكن تغييره أو محوه بين عشية وضحاها. لا يمكن إدخال العقلانية التاريخية إلى البلدان الاسلامية بين يوم وليلة. بدون شك، يمكن بسهولة استيراد الغسالات والبرادات وحتى السيارات وإدخالها إلى أرياف العربية السعودية والعراق ومصر وسوريا، الخ... دون أن تتغير عقليات الناس بشكل جذري. إن تغيير الحساسية صعب جدا. أقصد بالحساسية هنا طراز إدراك العالم والواقع ونوعية النظرة إليهما. ينبغي أن ينال التغيير المنشود طريقة التعبير عن هذا الواقع في اللغة ومن خلال اللغة. **ينبغي تغيير اللغة أيضا: أي علمنتها وعقلنتها** كل هذا يحتاج إلى زمن طويل. هذا هو الشيء الذي يضغط بشكل هائل على مصير المجتمعات العربية والاسلامية. **لهذا السبب بالذات فإني أولي مكانة هامة لتغيير العامل الثقافي والفكري**». (13)

◆ «... في الاسلام، حوَّل التفسير التقليدي والممارسة الأخلاقية الشرعية السياسية بسرعة القرآن وتجربة النبي الدينية إلى جملة من التعاريف، **ومن القواعد الجامدة، ومن السلوكيات الضاغطة**. هذا الانتقال من القوى إلى الأشكال ـ الظاهر في كل الأديان ـ لم يثر اهتمام المفكرين المسلمين المعاصرين. ولهذا من المفيد أن نطرح مواضيع البحث والتأمل التالية:

أ ـ يستعمل القرآن شكلا لغويا، ونماذج ثقافية، **ومراجع أسطورية** وكونية، ومؤسساتية، وتاريخية يدركها الجمهور العربي من أهل القرن السابع الميلادي لحض الانسان على أن يعي أوضاعه المحدودة ككائن حي، ميت، متكلم، ذكي، سياسي، تاريخي. هناك إذن عزم قرآني ديناميكي: القرآن لا يفرض حلولا نهائية للمشاكل العملية للوجود الانساني. إنه يعمل على بعث نوع من نظر الانسان إلى ذاته، إلى العالم، إلى الآيات التي تشكل بالنسبة لكل الناس ـ وليس فقط بالنسبة للمسلمين بالمعنى الضيق للشهادة ـ أفقا ميتافيزيقيا. إلى هذا المستوى العميق من الدلالة يهدف نشاط الدين ـ القوى. ولكن من أجل الوصول إلى هذا المستوى، يجب تجاوز الطبقات المترسِّبة عبر التاريخ التفسيري، **وعبر العادات الأسطورية والايديولوجية في الأوساط الاجتماعية المتنوعة**. هكذا تمكنا من أن نميز بين الحدث القرآني والحدث الاسلامي.

ب ـ من الناحية الانتروبولوجيا الدينية، يعتبر الحدث القرآني كما حددناه الشبه العربي (المنتقل والمنقول فعلا إلى لغات أخرى) للحدث التوراتي والحدث الانجيلي. والدراسة المعمقة للأحداث الثلاث ستتيح تعميق فكرة الدين ـ القوى في المجال السامي. وحدها هذه الدراسة ستمكن من مواجهة مشكل معاصر وأولي: إلى أية حقيقة إيجابية، منظورة، محددة، ترجع تعابير الدين ـ القوى، والعزم الديني، والأفق الميتافيزيقي، والحدث القرآني، والتوراتي، والانجيلي، التي استعملناها آنفا. وكيف تختلف هذه الحقيقة عن التي تغطيها الايديولوجية. حول هذه النقطة بالذات، يتجابه ويختلف كما هو معلوم وبشكل قاطع، التحليل الماركسي الموصوف بالعلمي والنظرة الدينية الموصوفة بالمثالية...

ج ـ إلى دخول العقل مجال الشك، فإن الحدث القرآني ـ كالحدث التوراتي والحدث الانجيلي ـ يمكن وصفه بأنه عَبر التاريخ: لقد مر بالفعل من كل المراحل التاريخية دون أن يفقد من قوته الاستجوابية حول الكائن في العالم المخلوق المتسائل عن أصوله، عن معنى حياته وموته، عن موقعه في العالم، عن علاقته بالكائن الأسمى، وبالآخرين...

د ـ نفهم إذن، ضمن هذه الظروف، لماذا إعادة قراءة القرآن ضرورية تاريخيا وانتروبولوجيا وابستيمولوجيا. ليس القصد «استرداد» نص اعتبر حيويا من قبل أو لصالح الأمة، بألاعيب ماهرة. المهم هو إعادة الاتصال بالحركة الفكرية والروحية لدى كبار المفكرين المسلمين الذين أخضعوا القرآن لامتحان التاريخانية(14). **صحيح أن وضعنا التاريخي يضطرنا لأول مرة إلى طرح أسئلة أكثر جذرية من الأسئلة التي طرحت في عالم تمثل فيه الأسطورة والطقوس، والفن، والكلام، والنظم، والعمل، والانتاج، والتبادل، ... حقائق متجانسة منتظمة مع القصد الديني...**

إن الفكر الاسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلا. إن فعل الايمان «الأرثوذوكسي» المحتسب دوما، يقوم على التأكيد بأن الدين يرتكز على الوحي الذي أنزله الله للناس بواسطة الأنبياء. وبالتالي فإن الدين فوق المجتمع. **لكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض فكرة أن الدين كله في المجتمع. الله بذاته بحاجة إلى شهادة الانسان له**». (14)

◆ «... إن مراجعة نقدية لتاريخ الاسلام وللتراث الاسلامي تفرض نفسها بإلحاح اليوم. وهذا الأمر يتطلب عملا ضخما وهائلا. يجب الاعتراف هنا بالتقدم الساحق للغرب الذي كان قد أنتج مئات الأعمال النقدية في هذا المجال.

نحن نشهد اليوم، وللمرة الأولى في تاريخ الاسلام، أسئلة من هذا النوع تطرح في هذا الاتجاه: اتجاه الشك المستمر. يذكرنا هذا التعبير الأخير بذلك العصر الكبير للشك الذي افتتح في القرن التاسع عشر من قبل ماركس ونيتشه، لم يشهد الاسلام في تاريخه أبدا شيئا من هذا القبيل. لا شك في أن هناك تطبيقات سلبية «للشك». نضرب مثلا على ذلك الاستخدام النضالي والسياسي للماركسية، بصورتها السطحية المثيرة للجماهير لكي تنهض ضد الطغيان (طغيان حقيقي وموجود) وهذا شيء مشروع ومطلوب. ولكن هذا العمل قد أدى في الوقت ذاته وفي أماكن كثيرة إلى تجميد الماركسية وتحويلها إلى قوالب «فكرية» مهترئة أو جامدة.

نلاحظ بالاضافة إلى ذلك أن الماركسية لم تعرف بصورتها الايجابية حتى الآن لا في الفكر العربي المعاصر ولا في الفكر الاسلامي بشكل عام. نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص نقد القيم الذي قام به نيتشه تجاه المسيحية. وهذا النقد قابل تماما للتطبيق على الاسلام.

إذا ما نظرنا للتاريخ بكليته ضمن هذا المنظور فإنه يصبح ممكنا تعبيد (أو تعزيل) الطريق وتمهيده نحو ممارسة علمانية للاسلام، وذلك على ضوء

التحديد الذي أعطيناه للعلمنة سابقا، يمكن للعلمنة عندئذ (لكن متى؟) أن تنتشر في المجتمعات التي اتخذت الاسلام دينا(15).

وسيجد القارىء في الفصل الرابع المعنون «**أركونيات**» اقتباسات من مقالات وكتب وتصريحات محمد أركون توضح وضوحا لا غبار عليه الأفكار والغايات التي ينشرها ويسعى إلى ترسيخها في أذهان المثقفين العرب والمسلمين. ولنختم هذا الفصل الخاص بالتعريف به بعد أن فسحنا له المجال ليحدثنا عن فكره ومذهبه، نرى أنه من المفيد، وحتى لا نجحف أركون حقه من التعريف، أن نقدم آراء بعض تلامذته ومؤيديه والمعجبين به في عالمنا العربي الاسلامي.

وسنكتفي بشهادات تلميذين مخلصين لكاتبنا واللذين «تَدَكْتَرَا» مؤخرا، الأول من المشرق العربي وهو الدكتور هاشم صالح، والثاني من المغرب وهو الدكتور كمال عبد اللطيف. ويعتبر هاشم صالح من الكتاب العرب الأوائل الذين عرَّفوا بمحمد أركون وترجموا مقالاته وبحوثه إلى العربية، بل هو المترجم لغالبية مقالات أركون المنشورة في المجلات والدوريات العربية (مواقف، الفكر العربي المعاصر، الوحدة، . . .) علاوة على إشادة أركون نفسه بجهد تلميذه في الترجمة ومصادقته على النصوص المترجمة على يده.

يقول هاشم صالح في موضوع له بعنوان «**جولة في فكر أركون**»(16):

● *«يحب البرفسور أركون ان يحدد موقعه قائلا بأنه ليس بنيويا، ولا وضعيا، ولا ماركسيا ولا . . . الخ، إنه يكره الانطواء تحت أي شعار مهما يكن براقا، إنه، فقط، يحاول أن تكون تحليلاته ودراساته مقتربة قدر الامكان من الواقع أو مطابقة له إذا كان ذلك ممكنا. قد يبدو هذا الكلام بسيطا وسهلا، لكنه في الحقيقة ينطوي على الكثير من التعقيد والصعوبة. ويتطلب الكثير من الجهد والصبر والتكوين العلمي المتين الذي يساعد على تحقيق مثل هذا الهدف أو الاقتراب منه.*

من هنا يبدو طبيعيا أن يكون منهج أركون ليس واحدا وإنما هو متعدد، انه يستفيد حتما من الخبرات المختلفة التي حملتها إلينا العلوم الانسانية الحديثة، ذلك أنه يزاوج ما بين التحليل الالسني للنص من جهة، والتحليل الاجتماعي ـ التاريخي له من جهة أخرى. بكلمة أخرى يمكن القول بأنه يتبع ما يسمى بطريقة تعدد المناهج Une Pluralité de Méthodes.

انه، مثلا، يطرح السؤال التالي: كيف نهتدي إلى التدخل والتوغل في عالم قد مضى؟ بمعنى آخر: كيف يمكن لنا أن نفهم العصور الماضية دونما اسقاط لمفاهيم الحاضر عليها، فنراها كما كانت عليه بالفعل، لا كما نشتهي نحن أن تكون؟ من هنا نستطيع أن نفهم احتداده إذ يقول: لماذا نريد أن نفرض على المجتمعات القديمة مقاييس عقلانية نستمدها من كارل ماركس أو من أوغست كونت، أو من غيرهم، في حين أن هذه المجتمعات كانت تعيش ذهنية خيالية، أسطورية؟.

*ينبغي أن نحاول رؤية الأمور كما هي عليه، **وأن نعترف بأن الأسطورة هي احدى المحركات الأساسية للتاريخ، ليس في المجتمعات العربية والاسلامية فقط، وانما، أيضا، في جميع المجتمعات في العالم**. يقول أيضا:*

*«لابد من أن نقر ان نقر ان الذي حرك القبائل أيام النبي محمد هو الايمان كما ورد في القرآن، والتصورات الاخروية من وعد ووعيد التي دخلت عقول الناس وجعلتهم يؤمنون بها كحقائق واقعية وليس كخيال وكرموز. **نحن الآن ننظر إليها كخيال وكرموز**».(17)*

● *«. . . يرى أركون أن إعادة قراءة القرآن من جديد، قراءة نقدية (بالمعنى الواسع والحديث لكلمة نقد) متفحصة، لا قراءة إيديولوجية تقليدية هي الخطورة الأولى التي لا بد منها من أجل فهم المناخ الفكري والنفسي للشخصية العربية ـ الاسلامية. ان هذه القراءة مضطرة لأن تأخذ بعين الاعتبار كل المسار الفلسفي والنقدي الذي قطعه الفكر الغربي، ابتداء من نيتشه وانتهاء بفرويد مرورا بطبيعة الحال، بكارل ماركس.*

ان معادلة التفكير التي كانت توجه الاذهان في العصور السابقة (العصور الكلاسيكية = أي عصور سيطرة الايديولوجيات الدينية) والتي تتلخص كما يلي:

وحي ← حقيقة ← تاريخ

كانت قد كرست وتغيرت علاقاتها على يد هؤلاء المفكرين الثلاثة من موجهي الفكر الفلسفي والنقدي الحديث. تم كسر هذه المعادلة نتيجة لجهود ماركس، على الاخص، إذ أصبح الوحي (أو الدين) ضمن التاريخ، وليس فوقه كما كان عليه الحال سابقا، أي صار التاريخ هو البحر الهائل الذي يحتوي جميع عناصر الجدل الاجتماعي بما فيها الأديان، وصراع الطبقات والايديولوجيات، الخ . . . ينتج عن ذلك أن جميع القيم المطلقة والمتعالية قد تحولت، نتيجة للبحث التاريخي والنقدي، إلى قيم نسبية، تاريخية، متغيرة. . .

في ضوء هذه التصورات، يرى أركون أن الفكر الاسلامي الراهن (وبالتالي الفكر العربي) لا يزال يدور ضمن إطار المسلمات المعرفية القديمة. ان المعادلة السابقة [وحي ← حقيقة ← تاريخ] لم تكسر بعد ولم تعدل علاقاتها الا ضمن حدود ضيقة جدا، وذلك فيما يخص الثقافة العربية ككل. هكذا نجد ان قطاعات واسعة جدا من المجتمعات العربية لا تزال خاضعة لطقوس وميتافيزيك التفكير القرون وسطوي. يقول أركون في مقاله الهام: «من أجل اسلاميات تطبيقية»:

«لا يزال الفكر الاسلامي معتمدا، إلى حد كبير، على المسلمات المعرفية épistémés للقرون الوسطى. انه يخلط ما بين الأسطوري والتاريخي. ثم هو يقوم بعملية تصنيف وتكريس دوغمائية لمجمل القيم الأخلاقية والدينية. مع تأكيد ثيولوجي (لاهوتي) على تفوق وأفضلية المؤمن على غير المؤمن، والمسلم على غير المسلم. ثم تقديس اللغة والتركيز على وحدانية وقدسية المعنى المرسل من قبل الله، والموضح والمنقول بأمانة، جيلا بعد جيل، من قبل الفقهاء. مع التأكيد الدائم على العقل الخالد، والفوق تاريخي لأنه مغروس في الكلام الرباني ولأنه مجهز بأساس أونتولوجي يتجاوز كل تاريخانية (historicité)»(18).

● *«في أواخر العام الماضي أصدر محمد أركون كتابا بعنوان «**قراءات في القرآن**». يضم هذا الكتاب خلاصة البحوث التي كان المؤرخ ـ الفيلسوف قد كرس لها جهوده طيلة سنوات عديدة عندما انخرط في دراسة القرآن بغية تجديد فهمه وإلقاء الأضواء عليه(19). لقد أحيط هذا الكتاب بصمت كامل فلم نجد له صدى في أية صحيفة أو مجلة عربية(20). هذا*

على الرغم من أن مجلاتنا التي أصبحت كثيرة الآن تخصص مكانا واسعا لعرض الكتب من عربية وأجنبية. لذلك من غير المقنع القول بأن سبب إهماله عائد إلى أنه مكتوب بالفرنسية . . . أعتقد أن جدية المنهج الذي يتبعه محمد أركون ووعورته ليستا هما السبب الوحيد المسؤول عن هذا الاهمال. ربما كانت هناك أسباب أخرى تتعلق بالمحرمات التيولوجية والايديولوجية التي لا تزال تخنق حرية البحث والتفكير في المجتمعات العربية. فمن المعروف أن تطبيق المناهج الألسنية والانتروبولوجية والتاريخية الحديثة على الظاهرة القرآنية والظاهرة الاسلامية يعتبر شيئا جديدا كليا. **وهو يؤدي حتما إلى قلب موازين كثيرة ونزع قناع الأسطرة والتقديس عن قيم عديدة. إن نفض الغبار عن كتب التفسير الكلاسيكية وتبيان مزاياها ونواقصها أيضا يعتبر عملا إيجابيا مهما من أجل هضم التراث والاستفادة منه وتجاوزه إذا لزم الأمر.** إن أركون يبين عن طريق التحليل الدقيق مدى جدية التفاسير الكلاسيكية وخصوصا التفسير الكبير لفخر الدين الرازي مثلا بالقياس إلى التفاسير الاسلامية المتأخرة، وتفوق الأولى على الثانية. لكن كل هذا لا يمنعه من اكتشاف حقيقة أساسية تتمثل في أن الكتب الكلاسيكية كانت تمارس عملية حجب وإخفاء وطمس للوقائع التاريخية أثناء تعليقها على الآيات القرآنية وتفسيرها لها. بالطبع إن هذا الحجب والاخفاء يزداد خطورة في التفاسير الاسلامية المعاصرة لكي يصل إلى حد القطيعة الكاملة بين القرآن والتاريخ، أو بين القرآن والواقع المحيط الذي ظهر فيه. إن منهجية التفسير الكلاسيكي تتمثل إلى حد كبير في انتزاع هذه الآيات من سياقها الاجتماعي التاريخي لكي تخلع عليها صفة التعالي والاطلاقية التي تتجاوز كل زمان ومكان. هذا في حين أن هذه الآيات كانت مرتبطة بشكل وثيق بالتجربة البشرية والسياسية المحسوسة للنبي محمد في مكة والمدينة. ولا يطعن في هذا التحليل القول بأن التفسير الكلاسيكي قد ركز على أسباب النزول واهتم بها، إن أركون لا يستغرب هذا الأمر بل يعتبره شيئا مفهوما في وقته(21). **فالعقل الكلاسيكي كان سجين الرؤيا القديمة للعالم ولم يكن يستطيع التمييز بشكل واضح - كما يفعل الفكر الحديث - بين الأسطورة والتاريخ: هنا بالضبط تكمن أهمية المنهجية «الأركونيات» إذا جاز التعبير. إنها تعيد «غرس» القرآن كظاهرة دينية وثقافية كبرى في الأرضية الاجتماعية والتاريخية التي ظهرت فيها وانطلقت منها . . .**

منذ أسابيع فقط صدر لمحمد أركون كتاب ثان لا يقل أهميته عن الكتاب الأول إن لم يزد، هو: «نحو نقد العقل الاسلامي» . . . يلخص هذا العنوان في الواقع مشروع أركون التاريخي والفلسفي، ويمكن أن تنضوي تحته كل مؤلفاته وبحوثه، وهو ما انفك يتحدث عنه في محاضراته ويعلن عنه في كتاباته السابقة حتى ظهر أخيرا(22). ولكن ما ظهر منه الآن ليس إلا الجزء الأول، ذلك أن دراسات عديدة ناجزة لا تقل أهمية عما يحتويه الكتاب قد تعذر صدورها بسبب ضيق المكان. . . في الدراسة الأولى التي تفتح كتاب «نحو نقد العقل الاسلامي» يثور المؤلف ضد استقالة العقل الاستشراقي وتقاعسه فيما يخص دراسة المجتمعات العربية والاسلامية. . . يلاحظ أن المستشرقين بشكل عام (وخصوصا المسيسين منهم) يمتنعون عن تطبيق المناهج الحديثة التي ظهرت خلال ربع القرن الأخير على الاسلام، في حين أن هذه المناهج أعطت نتائج ممتازة على أرضية الواقع الأوروبي بالذات . . . وهكذا نجد أن نقد محمد أركون للاستشراق يعاكس تماما النقد الشائع للعرب والمسلمين. إنه يطلب من الاستشراق المزيد من الانخراط الابستمولوجي والمزيد من الجرأة في طرح المشاكل الكبرى التي تخص الثقافة العربية والاتجاهات الاسلامية. وهو يرى أن المنهجية الفيلولوجية والتاريخانية التي لا يزال المستشرقون يطبقونها على الاسلام وتراثه لم تعد كافية لحل المشاكل العديدة التي تواجه دارسي هذا التراث . . .

ينبغي إذن تجديد دراسة الفكر العربي المحكوم حتى هذه اللحظة بالمناخ العقلي القروسطي على الرغم من الجهود التي بذلت في مرحلتي «النهضة» «فالثورة». **هذا يعني أن العلمنة لا تزال بعيدة المنال(23)، وان المعركة الفكرية الحاسمة التي تستهدف إدخالها إلى المجال العربي لا تزال في بدايتها.** كما وينبغي طرح الاشكاليات الأساسية من جديد، أو إعادة طرحها بشكل مختلف جذريا على ضوء مناهج علوم الانسان والمجتمع السائدة حاليا. **وهذا ما يفعله أركون في كتابه المذكور وفي مختلف دراساته الأخرى. . . وفي مكان آخر يفكك المؤلف الخطاب الايديولوجي «الاسلامي» الصاعد حاليا وبين كل الآليات الأسطورية الداخلية التي تشكل مصدر قوته التجييشية وهشاشته المعرفية على حد سواء. . . إنه يبين عن طريق التحليل الدقيق كيف يلجأ الخطاب إلى تغطية أهدافه السلطوية ورهاناته المادية الواضحة عن طريق استخدام مفردات دينية شعبوية وشعارات تيولوجية تبسيطية مكرسة في الذاكرة الجماعية عبر القرون. . .»(24).**

هذا بخصوص «تقاريظ» الدكتور هاشم صالح في حق أستاذه الدكتور محمد أركون، أما بخصوص الدكتور كمال عبد اللطيف، فإننا اخترنا له التقريظين التاليين:

■ «الأستاذ محمد أركون يوظف مفهوم الابستيمي، ومفهوم الخطاب، ثم مفهومي الزمن الطويل، وتاريخ الأنساق الفكرية، ليتجاوز تاريخ الأفكار، وصيرورة الأصل، والبداية والنهاية، وليتمكن من اكتشاف البنية العميقة، البنية النظرية الأثيرية التي لا ترى، بقدرما تؤسس، والتي وجهت وما زالت توجه نظام الفكر وقواعد إنتاجه في العالم الاسلامي.

يمكن أن نغامر هنا فندعي أن الأستاذ أركون يفكر في نظام الأنظمة في الفكر الاسلامي، وبالتالي فإن تحديده لهذا النظام لم يتعلق بتقسيم لمجال تمظهر العقل الاسلامي كما فعل الأستاذ الجابري بقدرما حاول صياغة النظام الضابط للعقل الاسلامي بغض النظر عن القواعد الجزئية، والفرعية التي يمكن أن تكون مؤسسة في مناطق جهوية.

أما الخلاصات الأساسية يقدمها الأستاذ أركون للابستيمي الاسلامي فهي:

☆ الخلط بين الميثي والتاريخي.

☆ التدعيم القطعي للقيم الدينية انطلاقا من القرآن والسنة.

☆ التأكيد اللاهوتي لتفوق المسلم على غير المسلم.

☆ حصر وظيفة العقل في الاجتهاد وتأويل الوحي.

☆ تقديس اللغة والدفاع عن قداسة المعنى المرسل من طرف الله.

☆ التأكيد على تعالي المقدس.

إن هذه الخلاصات هي التي توجه نظر الأستاذ محمد أركون في مجال العقل الاسلامي، وتحكم عملية تولد وتوليد الأفكار في مختلف جوانب الحياة في الاسلام، وهي تتضمن رؤية محددة عن العالم، رؤية تسلم بأولوية الالهي في الكون، وتجعل الفكر متمركزا حول الوحي، وتحول العالم إلى مسرح تبدأ

فصوله هنا، وتنتهي هناك في العالم الآخر»(25).

■ «يدرك الأستاذ محمد أركون جيدا أهمية التحولات الأساسية التي تجري في مجال الفكر المعاصر ابتداء من الخمسينيات. خاصة التطورات التي حصلت في اللسانيات وفي التاريخ والانتربولوجيا والفلسفة. ويحاول التفكير في كيفية الاستفادة منها بدون أن يتناسى شروط انتاج المعرفة العلمية وشروط إخصاب حقل الدراسات الاسلامية بواسطة استعارة المفاهيم التي يمكن أن تكفل مساهمة جديدة وجيدة في باب قراءة الحدث القرآني.. لهذا السبب يحفل مرجع النص الأركوني بأسماء أهم المفكرين المعاصرين: ماركس، ليفي ستراوس، باشلار، ألتوسير، بارت، فوكو، بلاندياي، بروديل، غودولي، رونيه جيرار، دريدا بورديو، رمكيور الخ... كما يحتفل هذا النص أيضا بمفاهيم وأدوات عمل هؤلاء المفكرين، حيث تطفو فوق كتابته مفاهيم مثل: رأس المال الرمزي، الزمن الطويل، التقطيع الميثي، التاريخية، الخطاب السيميائي، اللامفكرفيه، المنسي، المكبوت، البنية العميقة، الابستمي الخ...

يوظف أركون هذه المفاهيم دون أن يستنسخها. إنه يتمثلها وينتج بواسطتها نتائج جديدة حاسمة في باب الاسلاميات التطبيقية.

إن أركون لا يستعرض الأسماء السابقة والمفاهيم من باب الافتتان والانجذاب بالمنجزات الفكرية الغربية، إنه يغامر باستدعاء هذه المفاهيم أو هذه السلطات المعرفية المرجعية من زاوية رغبته في تدشين عهد جديد في التعامل مع الاسلام. إنه يستثمرها ليوسعها ويغني بواسطتها، في الوقت نفسه، حقل دراسة الاسلام.

يعتقد أركون أن هناك تباعدا كبيرا بين الاسلام والظاهرة الاسلامية، والتحول المعرفي الذي تأسس وما زال يتأسس في الفكر المعاصر، وهو يريد أن يقيم تصالحا معرفيا بين الاسلام ومنجزات الفلسفة وعلوم الانسان وهو تصالح يرمي إلى هدف نقدي كبير هو خلخلة الموروث بلغة جديدة، لغة لا تكتفي بالحماسة الايديولوجية الرافضة بقدرما ترمي إلى تأسيس خطاب جديد حول الحدث الاسلامي، خطاب يلغي أزمنة الوصف والتكرار والمديح والتاريخية الرومانسية، ويعيد ترتيب القول الاسلامي (مجال تمظهر الخيال الاسلامي) للتمكن من اكتشاف لغة جديدة ورؤية جديدة في الوجود. التصالح هنا إبعاد للغربة ووسيلة للتجاوز وأفق لكونية معرفية بلا حدود...

للاختيار النقدي في أبحاث أركون حول الاسلام جملة مبادىء نظرية تحدد تصوره الفلسفي للمعرفة وللعالم، هذه المبادىء هي:

1 ـ ليس هناك حقيقة فوق التاريخ.

ويعني هذا المبدأ أن الحقيقة تهم الكائن المشخص في التاريخ، وينتج عنه «إن الخاصية الالهية للشريعة ـ مثلا ـ لا تحيلنا إلا إلى التصور الذهني الذي بلوره التفسير واللاهوت، وشكلته تقنية انجاز القانون» (ص 33).

2 ـ ترتبط الحقيقة بالسلطة وذلك باعتبار أنها مسألة اجتماعية تاريخية، ومن هنا طابع الصراع والتوتر الذي يولد الحقائق المتناقضة.

3 ـ ترسخ وتتجسد الحقيقة بواسطة الانسان، إنها ترسخ بواسطة الذكاء والارادة والقدرة على التجاوز.

انطلاقا من المبادىء السابقة يمارس أركون الاسلاميات التطبيقية «ويخضع القرآن لمعيار النقد التاريخي المقارن وللتحليل اللسني التفكيكي، وللتعامل الفلسفي المرتبط بإنتاج المعنى وتحليله وتحويله وتبديله» (ص 66)، إن مسألة تنويع أساليب المقاربة، تنويع الأدوات والمفاهيم التي تتيح إعادة إنتاج المعاني، هي جوانب من مظاهر الاستراتيجية النقدية التي يمارسها أركون وهي تبعد خطابه عن الحسم وتطبعه بكل إيجابيات الموقف الرّيبي ـ كموقف فلسفي أصيل ـ حيث يتم الاعتراف بأن مجال البحث يتعلق بأمر يهم الانسان في الزمان، ونقصد بذلك فهم حدود ومحدودية الظاهرة الدينية.

من هنا هجوم الباحث الشديد على الجماعات الاسلامية التي ما تزال تتحدث عن الاسلام بلغة ابن تيمية متجاهلة ما حدث ويحدث الآن في العالم المعاصر. ومن هنا أيضا نقده للاستشراق الذي لم يطور أساليب قراءته للفكر الاسلامي، ثم انتقاده الشديد كذلك للظاهرة الغارودية (نسبة إلى روجيه غارودي أو رجاء جارودي)»(26).

بقي أن نشير في هذا الفصل الخاص بالتعريف بشخص وفكر محمد أركون، إلى أن هذا الأخير لم يبتدع منهجه بنفسه، وإنما سلك مسلكا سبقه إليه المستشرقون، ويشهد على ذلك مثقف يساري عربي ماركسي هو حسن قبيسي بقوله:

«يقترح محمد أركون، مثلا، في مقدمته لترجمة كازيميرسكي للقرآن، تحليلا بنيويا للنص القرآني وتجاوز النصاب الخطابي من أجل اكتشاف نصاب أهم، هو نصاب بنيوي» ويعتبر أن الآيات القرآنية تقدم للمؤرخ مؤشرات تدله على حالة المجتمع والثقافة في جزيرة العرب في مستهل القرن السابع الميلادي... ويتخذ الرجل نموذجا عن العمل الذي يدعو إليه، كما قام به الياباني «ايزوتسو» في كتابه **«الله والانسان في القرآن: تحليل سيميائي للنظرة القرآنية الشاملة»** (طوكيو، 1964، بالانجليزية)»(27).

وقد بلغنا ممن حضروا الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامي المنعقد بالجزائر من 11 إلى 17 شوال 1404هـ الموافق من 10 إلى 16 يوليوز تحت شعار **«الصحوة الاسلامية والحضارة المعاصرة»**، أن محمد أركون قد أثار بمحاضرته المعنونة **«بعض الشروط لتجديد الفكر الاسلامي»** جدلا طويلا بين المشاركين الذين لم يسلموا للأستاذ أركون بعض الآراء الغربية المتعلقة بتجديد الفكر الاسلامي ودراسة التاريخ العربي الاسلامي، وهو ما أكدته مجلة **«جوهر الاسلام»** التونسية من خلال تغطية مديرها ورئيس تحريرها الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي لأعمال المؤتمر حين قوله:

«وفي موضوع آفاق الصحوة الاسلامية حاضر... الدكتور محمد عركون (عن) «بعض الشروط لتجديد الفكر الاسلامي». وقد أثارت المحاضرة جدلا طويلا بين الأساتذة المشاركين الذين لم يسلموا للأستاذ عركون بعض الأراء الغربية المتعلقة بتجديد الفكر الاسلامي ودراسة التاريخ وبعض المفاهيم الغربية الأخرى كخلطه بين القصة والأسطورة»(28).

وقد سمعته شخصيا يصرح في محاضرة ألقاها بالرباط بوزارة الثقافة يوم 26 أكتوبر 1984 بأنه مسرور من الزوبعة التي أحدثها في ملتقى الفكر الاسلامي الثامن عشر بالجزائر، وأنه على استعداد لاثارة



زوبعات أخرى لتوضيح منهجه ومحاربة «الاستغلالات الايديولوجية» على حد تعبيره.

كما أنه أعاد الكرة بإثارة زوبعة أخرى ونقاشات أكثر حدة هذه المرة في ملتقى الفكر الاسلامي التاسع عشر المنعقد ببجاية في الجزائر في أواسط يوليوز الماضي(29). ذلك ما أكدته مجلة «العالم» بقولها:

«كانت محاضرة الأستاذ محمد أركون أكثر المحاضرات إثارة للنقاش. وكان عدد المعقبين عليها كبيرا وانتقاد ماورد فيها صريحا. فقد تحدث السيد أركون في محاضرته عن «مفهوم الغزو الثقافي ومهمات الفكر الاسلامي» فبين أن الغزو الثقافي من حيث التاريخ ينطلق من متابعة تطور الفكر، وأن غزوا ثقافيا قد حصل قديما تمثل في الاختلاف بين المذاهب النقلية والعقلية إذ أن الأخيرة قد تأثرت بالفلسفات القديمة. وإذا كانت الحروب الصليبية قد مثلت في التاريخ غزوا عسكريا لبلاد المسلمين، فقد أعطت فكرة أولية عن مستقبل الصراع بين الحضارتين الغربية والاسلامية. وبهذا المعنى يرى السيد أركون أن الغزو الثقافي ليس إلا شكلا حديثا لذلك الصراع التقليدي. ولاحظ أن التفاعل بين الحضارات يمثل قاعدة تاريخية مطلقة. وفي الوقت الذي شهد فيه الفكر الغربي تطورات كبيرة، حدث شبه اضمحلال للفكر الاسلامي لأن قراءتهم للقرآن لم تتغير رغم تطور علم دلالات الألفاظ. ودعا العلماء إلى ضرورة تبني تعريف جديد للغة يتماشى وطبيعة التغير الحاصل على مستوى العقل».

«كانت قائمة طالبي التعقيب على هذه المحاضرة طويلة. لكن أطول التعقيبات كان للشيخ محمد الغزالي. فقد بدأ تعقيبه بقوله: **«إن المسافة بيني وبين السيد أركون كالمسافة بين الأزهر والسوربون. فقد كانت بيننا مناقشات في الملتقيات الماضية يبدو أننا سنعيدها هذه المرة.**

ثم أنكر الشيخ الغزالي على المحاضر خلطه بين أصول الاسلام الثابتة والفكر الاسلامي المتطور، كما أنكر أن يكون الفكر الاسلامي قد تفاعل مع الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، وأنكر عليه أيضا قوله بأن أوروبا ارتقت ذاتيا واستشهد في ذلك بما كتبه أحد المفكرين الانكليز. ثم سأل المعقب المحاضر عن معاني فقرات وردت في الترجمة العربية لكتابه «الفكر العربي» ملاحظا أن قائل مثل هذا الكلام لا يمكن أن يكون مؤمنا بالقرآن راجيا أن يكون ذلك خطأ في الترجمة على المؤلف تصحيحه»(30).

وختاما لهذا الفصل، نشير أننا حين أقدمنا على التعريف بمحمد أركون، لم نفعل ذلك للقدح فيه ولا لتكفيره أو تجريحه، وإنما كانت غايتنا الأساسية إطلاع جمهور الاسلاميين، ومثقفيهم على الخصوص، الذين لا يتبعون إصدارات المفكرين العرب باللغات الأجنبية، ولا الصحف والمجلات ذات النزعة اليسارية أو «التقدمية»، على صفحة من صفحات ذلك التيار الجديد الراغب في قلب الدين رأسا على عقب وإعادة النظر في بناياته كلها والاتيان عليها من القواعد تحت شعار الاستفادة من العلوم الانسانية الحديثة ومناهج البحث المعاصر، والذي يريد أي يفرض علينا تجديدا غريبا في الدين يتجلى في ممارسة علمانية للاسلام... آملين أن نكون قد أفدنا القارىء المسلم على وجه العموم، وطالب أو أستاذ الفكر الاسلامي والدراسات الاسلامية على وجه الخصوص.

في العدد المقبل
الفصل الثاني: لماذا محمد أركون؟

الهوامش

(1) يقول محمد أركون عن نفسه: «... لقد مررت بجميع مراحل الدراسة بالجزائر في مناطق مختلفة إذ لازمت المدرسة الابتدائية ببني ياني (ولاية تيزي أوزو)، ثم بعين الأربعاء (ولاية وهران) ثم الثانوية بوهران، ثم الجامعة بالعاصمة. وقد انغمست بإحساسي وفكري في المجتمع الجزائري أثناء المراحل الثلاث الأساسية التي مر بها منذ الأربعينات: أي مرحلة الاستعمار، ثم مرحلة حرب التحرير ثم مرحلة الاستقلال». مجلة مواقف، عدد 40 شتاء 1981، ص 56، ضمن حوار مع المجلة بعنوان «التراث والموقف النقدي التساؤلي» شارك في طرح أسئلته كل من أدونيس وعباس طربيه وهاشم صالح.

(2) الفكر العربي المعاصر، عدد 13، يونيو-يوليوز 1981، ص 14-22، تحت عنوان «مشكلة الأصول»، أما مسكويه فهو أحمد بن يعقوب مسكويه، توفي سنة 421هـ مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتاريخ والأدب والانشاء. قال فيه أبو حيان: «لطيف الألفاظ، سهل المأخذ، مشهور المعاني، شديد التوقي، ضعيف

الترقي، يتطاول جهده ثم يقصر، وله مآخذ وغرائب من الكذب ـ كذا ـ وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء. من كتبه:
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم،
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، (وقد قام بترجمته للفرنسية محمد أركون سنة 1969 / دمشق)،
- طهارة النفس،
- آداب العرب والفرس،
- الفوز الأصغر، (علم النفس)،
- ترتيب السعادات (الأخلاق)،
- رسالة في ماهية العدل،
- نديم الأحباب وجليس الأصحاب،
- الحكمة الخالدة: جاويدان خرد (الفصل التاسع من كتاب أركون «نحو نقد للعقل الاسلامي عنونه «كيف نقرأ جاويدان خرد»).
- الادوية المفردة،
- الأشربة، وغير ذلك...
(أنظر ترجمته كاملة في الأعلام للزركلي، المجلد الأول، ص 211 و212).

(3) الزمان المغربي، عدد 18 ـ 1983، ص 38 ـ 81.

(4) «Discours islamiques, discours orientalistes et pensée scientifique» in Mutual perceptions: East and West, éd. B. Lewis, Princeton, 1984.

(5) «l'Islam et la laïcité» in Bulletin du Centre Thomas More, 1978, No 24.

(6) الوطن العربي، عدد 385 بتاريخ 29 يونيو إلى 5 يوليوز 1984، ص 55. والفقرة من استجواب أجرته المجلة مع محمد أركون ونشر بعنوان «محمد أركون يتهم: غارودي يجهل الاسلام».

(7) مجلة «مواقف»، عدد 40، شتاء 1981، حوار مع محمد أركون بعنوان: «التراث والموقف النقدي التساؤلي»، ص 40.

(8) «التأمل الابستمولوجي غائب عند العرب»، الفكر العربي المعاصر، العدد 20 ـ 21 ـ 22، صيف 1982، من ص 80 إلى ص 82، ضمن حوار أجراه معه الكاتب المغربي أحمد المديني.

(9) «التراث والموقف النقدي التساؤلي»، ص 56 و 57.

(10) «الفكر العربي»، محمد أركون، ترجمة الدكتور عادل العوا، منشورات عويدات، الطبعة الأولى 1982، ص 6 و7، والفقرة جزء من مقدمة أركون لطبعة كتابه المذكور بالعربية.

(11) «من الموقف الثيولوجي إلى الموقف المعرفي»، حوار أجراه أركون مع الدكتور هاشم صالح ونشرته مجلة الوحدة، عدد 3، دجنبر 1984، ص 130.

(12) يشرح أركون في مكان آخر ما يقصده من ممارسة كتابة التاريخ والعمل بمناهج علم التاريخ الحديثة فيقول: «هذا لا يعني أنه ينبغي أن نهجر، لكي نتموضع في مهب التاريخ، مفهوم كلام الله الموحى به في القرآن. لكن الفكر الاسلامي لا يمكن بعد الآن أن يتحاشى الدروس الجديدة، حتى بالنسبة للوعي الغربي، لتاريخ الأديان المقارنة، وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا الدينية. والبسيكولوجيا الاجتماعية، والتحليل النفسي والألسنيات: أي باختصار كل علم يتعذر الوصول إليه الآن عن طريق اللغات الاسلامية الأساسية. إن الأمر يتعلق بطرح مفهوم كلام الله طرحا إشكاليا ضمن التوجهات التي فتحها العلم المعاصر، ثم طرح مفهوم الكتابات المقدسة، للمرة الأولى في تاريخ الأديان، خارج نطاق أية أسبقية تيولوجية (يعني بمفردات واضحة: الانطلاق من منظور علماني - بريش). إن هذا الرفض للأسبقية التيولوجية سوف يدان من قبل التيولوجيين (أي علماء الدين)، وذلك لأنهم يرون فيه موقفا يقود، بالضرورة، إلى تفسيرات اختزالية للدين. يمكن لهذا الاعتراض أن يكون صحيحا لو أنه لم يكن هناك إلا تيولوجية واحدة للأديان كلها. لكننا نعرف جيدا أن هناك تيولوجيات مختلفة حتى داخل الدين الواحد نفسه...» (مواقف، عدد 40، ص 18).

كما أنه أشار في موضع آخر إلى مفهوم العلم التاريخي والسوسيولوجي كما يراه هو: «المعتقد التقليدي المشترك فيما بين الكتاب (يعني بها أركون المجتمعات اليهودية والمسيحية والاسلامية) يقضي بأن الدين هو تعليم منزل (موحى به من السماء) بحسب ماورد في التصور القرآني. إن العلم التاريخي والسوسيولوجي يعتبر، بعكس ذلك، أن الدين هو «نظام من المعتقدات والمحظورات» يتلاقى مع الشأن الثقافي، والاقتصادي، والسياسي من أجل «خلق المجتمع». وبقول آخر، الدين في المجتمع والتاريخ، وليس فوقهما» (الاسلام: الأمس والغد ـ الطبعة العربية، ص 189).

(13) مجلة الوحدة، عدد 3، ص 128 و129.

(14) يذكر أركون في موضع آخر بعض هؤلاء المفكرين كمسكويه وأبي حيان التوحيدي وغيرهما. (يراجع في هذا الصدد كتاب أركون «محاولات في الفكر الاسلامي» وكذلك الحوار الذي أجرته جريدة «الرأي» المغربية وأعادت نشره بعد الترجمة زميلتها «العلم» في ملحقها الثقافي ليوم السبت 16 صفء 1405 ـ 10 نوفنبر 1984).

(14) الاسلام: الأمس والغد، الطبعة الفرنسية 1978، ص 140 ـ 145. ويمكن الرجوع إلى الترجمة العربية ص 116 ـ 122، إلا أن الترجمة كثيرا ما تخالف النص الفرنسي، وقد أشرنا إلى بعض عيوبها في الملحق).

(15) «الاسلام والعلمنة» من كتاب أركون الجديد: «تاريخية الفكر العربي الاسلامي»، نقلا عن مجلة «دراسات عربية»، العدد 5، مارس 1986، ص 37.

(16) «جولة في فكر محمد أركون، نحو أركيولوجيا جذرية للفكر الاسلامي»، هاشم صالح مع تقديم لمحمد أركون بنفسه، مجلة «المعرفة» السورية، العدد 216 فبراير 1980، ص 62 ـ 85.

(17) المرجع السابق، ص 66 و 67.

(18) المرجع السابق، ص 73 و 74.

(19) الكتاب يضم مجموع البحوث التي أصدرها أركون قبل 1982 والمتعلقة بالقرآن وليس خلاصة البحوث.

(20) لقد وهم الدكتور هاشم صالح حين إدعائه أن كتاب أركون «قراءات في القرآن» لم يكن له صدى في أية صحيفة أو مجلة عربية، وهذا قول يوحي بأنهاشم صالح قد قام باستقراء شامل لكل الجرائد والمجلات العربية الصادرة وقت صدور كتاب محمد أركون، إلا أن صاحبنا فاته أن هناك مجلتين تصدران بالمغرب العربي الأولى بالمغرب وهي مجلة «الثقافة الجديدة» والثانية بتونس وهي مجلة «15 ـ 21: مجلة الفكر الاسلامي المستقبلي» سبق لهما الاشارة إلى كتاب أركون المذكور ووقت صدوره.

● فمجلة «الثقافة الجديدة» المغربية أقدمت كما سبق الذكر حين عرضنا للكتاب على نشر ترجمة للفصل الأول منه تحت عنوان «الوحي، الحقيقة، التاريخ (نحو قراءة جديدة للقرآن)» مشيرة إلى أن هذا الفصل قد سبق نشره كمقدمة لترجمة معاني القرآن للفرنسية والتي قام بها كازيميرسكي، تحت عنوان «كيف يقرأ القرآن»، وأنه أعيد طبعه في كتاب جديد للمؤلف صدر بعنوان «قراءات للقرآن» مع الاشارة إلى الناشر وسنة النشر (الثقافة الجديدة ـ عدد 26/27 ـ السنة السادسة 1983 ـ ص 32 ـ 58)، ولعمرى إنها لأكبر إشادة بالكتاب وتعريف به.

● أما مجلة «15 ـ 21» التونسية فقد كانت أكثر تعريفا إذ أشارت إلى الفصول

التي احتواها الكتاب والفصل الجديد الذي أضافه أركون لبحوثه القديمة والمعنون «حصيلة الدراسات القرآنية وآفاقها»، بل إنها أقدمت على نشر وترجمة الجزء الأخير من هذا الفصل (مجلة 15 ـ 21، عدد 5، ماي 1983، ص 26 ـ 29).

(21) أشار أركون في مقدمته لترجمة معاني القرآن بالفرنسية «كيف يقرأ القرآن» إلى «أن القرآن لا يمكن اعتباره مجرد وثيقة أدبية وتاريخية، هذا يعني أنه يتوجب علينا بالضرورة قلب المنهج الذي عرف حظوة على يد الأصوليين القدامى والشراح المحدثين، فالآيات لا تستمد معناها من «أسباب النزول»، بل يمكنها أن تمد المؤرخ بدلائل حول وضع الثقافة والمجتمع في الجزيرة العربية إبان القرن السابع الميلادي . . .» وهذا ما تقول به المادية التاريخية والمناهج الماركسية حين تسلطها على الدين والتراث، والعملية نفسها سبق أن قام بها أو حاول القيام بها كل من طيب تيزيني وحسين مروة في مشروعيهما المشار إليهما سابقا (انظر هوامش المدخل لهذه الدراسة ـ الهدى، العدد 13 يناير ـ فبراير 1986 ص 33). وسنورد هذه الفقرة ضمن سياقها في الفقرة المعنونة «أركونيات»، وقد عجلنا بالاشارة إليها لتناسبها مع حديث أركون في هذا الباب.

(22) الكتاب المذكور ليس فيه جديدا إلا مقدمته المعنونة «كيف ندرس الفكر الاسلامي»، والتي قام بترجمتها هاشم صالح ونشرتها مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 32 ـ أكتوبر 1984.

(23) وهو ما تصبو إليه أبحاث محمد أركون كما شهد على ذلك تلميذه هاشم صالح فيما بعد.

(24) «محمد أركون ومكونات العقل الاسلامي الكلاسيكي»، تقديم د. هاشم صالح، مجلة الوحدة، عدد 3، دجنبر 1984، ص 177 ـ 120.

(25) «مشروع النقد في قراءة التراث، حول التكامل في أعمال محمد عابد الجابري ومحمد أركون»، د. كمال عبد اللطيف، مجلة المستقبل العربي، عدد 86، أبريل 1986، ص 30 و31.

«استراتيجية النقد في «تاريخية الفكر العربي الاسلامي»»، د. كمال عبد اللطيف، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 37، دجنبر 1985 ـ يناير 1986، ص 118.

(27) «رودنسون ونبي الاسلام، مقدمة حول التفسير المادي ـ التاريخي لنشأة الاسلام»، حسن قبيسي، دار الطليعة ببيروت، الطبعة الأولى، يونيو 1981، ص 33.

(28) «جوهر الاسلام»، عدد 5 ـ 6، السنة 16، السلسلة الجديدة نونبر 1984، ص 61.

(29) يهدف أركون من خلال هذه الزوبعات إلى اكتساب الشهرة وإثارة الاسلاميين للرد عليه متبعا في ذلك منهج «خالف تعرف».

(30) مجلة «العالم»، عدد 79، فاتح ذي الحجة 17/1405 غشت 1985، ص 40، وسيطلع القارىء فيما بعد على ملاحظاتنا حول الترجمة التي وإن كانت حرفية، فإنها تعكس معاني النص الفرنسي لكتاب أركون «الفكر العربي» بكل أمانة.

من التصريحات المثيرة لمحمد أركون

● *«أنا مع العلمنة وبقوة، ولكني أرفض أن يمنع المتطرفون العلمانيون دراسة الأديان بصفتها ظواهر ثقافية كبرى عاشتها البشرية خلال قرون وقرون». (مجلة الوحدة، عدد 3، دجنبر 1984).*

● *«إن تغيير الحساسية صعب جدا. أقصد بالحساسية هنا طراز إدراك العالم والواقع ونوعية النظرة إليهما. ينبغي أن ينال التغيير المنشود طريقة التعبير عن هذا الواقع في اللغة ومن خلال اللغة. ينبغي تغيير اللغة أيضا: أي علمنتها وعقلنتها، كل هذا يحتاج إلى زمن طويل. هذا هو الشيء الذي يضغط بشكل هائل على مصير المجتمعات العربية والاسلامية. لهذا السبب بالذات فإنني أولي مكانة هامة لتغيير العامل الثقافي والفكري». (مجلة الوحدة، عدد 3، دجنبر 1984).*

● *«إن الفكر الاسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلا. إن فعل الايمان «الأرثوذوكسي» المحتسب دوما، يقوم على التأكيد بأن الدين يرتكز على الوحي الذي أنزله الله للناس بواسطة الأنبياء. وبالتالي فإن الدين فوق المجتمع. لكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض فكرة أن الدين كله في المجتمع. الله بذاته بحاجة إلى شهادة الانسان له». (الاسلام: الأمس والغد، الطبعة الفرنسية 1978، ص 145).*

● *«نلاحظ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الايجابية حتى الآن لا في الفكر العربي المعاصر ولا في الفكر الاسلامي بشكل عام. نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص نقد القيم الذي قام به «نيتشه» تجاه المسيحية. وهذا النقد قابل تماما للتطبيق على الاسلام. إذا ما نظرنا للتاريخ بكليته ضمن هذا المنظور، فإنه يصبح ممكنا تعبيد الطريق وتمهيده نحو ممارسة علمانية للاسلام. يمكن للعلمنة عندئذ (لكن متى؟) أن تنتشر في المجتمعات التي اتخذت الاسلام دينا». (تاريخية الفكر العربي الاسلامي، مركز الانماء القومي، 1986).*

● *«لا بد من أن نقر أن الذي حرك القبائل أيام النبي محمد هو الايمان كما ورد في القرآن، والتصورات الاخروية من وعد ووعيد التي دخلت عقول الناس وجعلتهم يؤمنون بها كحقائق واقعية وليس كخيال وكرموز. نحن الآن ننظر إليها كخيال وكرموز». (مجلة المعرفة، العدد 216، فبراير 1980).*

ملف خاص عن رمضان شهر الصيام والغفران

حكم الصيام

الصيام ركن من أركان الاسلام الخمسة المعلومة من الدين بالضرورة، فهو فرض عيني على كل مكلف، وفريضته ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع.

1) فمن الكتاب :

قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات﴾ (البقرة).

2) ومن السنة :

قال رسول الله ﷺ : «بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال : صدق. قال : فمن خلق السماء؟ قال : الله. قال : فمن خلق الأرض؟ قال : الله. قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال : الله. قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال : نعم. قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال : صدق. قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم. قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا. قال : صدق. قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم. قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال : صدق. قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم. قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال : صدق. قال : ثم ولى قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فقال النبي ﷺ : لان صدق صدق ليدخلن الجنة وزاد البخاري في رواية له في باب العلم : فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلب أخو بني سعد بن بكر. رواه الخمسة إلا أبا داود، واللفظ لمسلم في الايمان.

ومن الاجماع نجد أن المسلمين قد أجمعوا على ركنيته منذ فرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما أجمعوا على تكفير جاحده، وجاحد كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة وغيرهما، ولذلك لم يتساهل أبو بكر رضي الله عنه مع المرتدين الذين امتنعوا عن أداء الزكاة، على ما كانت تجتازه الدولة الاسلامية الفتية من محن وفتن سياسية خطيرة كادت تئد الاسلام لو لا عزم الصديق وصدقه الايماني في العمل على حفظ الارث النبوي، والقيام بحمل الأمانة الاسلامية والدعوية.

ومنذ العصر الراشدي والمسلمون رعاة ورعايا يحافظون على الصبغة الاسلامية للدولة ويسدون بشتى السبل الأبواب في وجه من تسول له نفسه الاستهتار بالدين والعبث بمقدساته، إلى أن انقلب الوضع، وأصبحنا في عصر دَسْتَرة الاسلام، وتعطيل أحكام القرآن، وهو العصر الذي قال فيه الصادق المصدوق ﷺ : «يأتي على الناس زمان همتهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شر الخلق لا خلاق لهم عند الله» - الديلمي - إذ وجد بعض عباد الشهوة في تراخي سلطة القرآن متنفسا خبيثا استطاع من خلاله بعض الشباب الغافل وبعض حملة شهادات الجهل بالدين التطاول على حرمة شهر رمضان بدون أن تنالهم يد الردع الاسلامي الحق.

منزلة الصيام وفضله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : ﴿كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ، فإن سابَّه أحد أو قاتَلَه فليقل : إني صائم، والذي نفس محمد بيده لَخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما :

إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». رواه البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم(1).

2) وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال عند الله عز وجل سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالها، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل. فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد اشرك به وجبت له النار. ومن عمل سيئة جزى بها، ومن أرادا أن يعمل حسنة فلم يعملها جزي مثلها، ومن عمل حسنة جزى عشرا، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته: الدرهم بسبعمائة، والدينار بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل». رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي.

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تُفتح فيه أبواب السماء وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرِم خيرها فقد حُرِمَ» ـ رواه النسائي والبهيقي.

وعن النضر بن شيبان رضي الله عنه قال: قلت لأبي سلمة بن عبد الرحمان: حدثني بشيء سمعته من أبيك سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ليس بين أبيك وبين رسول الله أحد في شهر رمضان، قال: نعم، حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وأقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». ـ النسائي واحمد.

4) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ـ رواه الخمسة إلا أبا داود. ولفظ الترمذي: «إذا كان أول ليلة من شهور رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغيَ الخير أقبل، يا باغيَ الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة. وللبيهقي: «إن لله عز وجل في كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار، فإذا كان آخر ليلة اعتق الله بعدد من مضى».

---

(1) في هذا الحديث بيان عظم فضل الصوم، وكثرة ثوابه، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم الجزاء المقدر له من الكريم الواسع الفضل والعطاء، فإضافة الصيام له سبحانه وتعالى إضافة تشريف، لأن العبادات جميعها ـ من صلاة وصدقة وذكر ـ له، ولكن الصيام يمتاز عن كل العبادات بخلوه من الرياء والنفاق والشرك، إذ لم يسبق للبشر في جميع اطواره الوثنية أن عبد غير الله بالصيام، فهو شعيرة وعبادة خاصة بالله تعالى، ولذلك لم يكن باستطاعة أحد أن يعرف مقدار ثوابها، وعظم فضلها، إلا الذي فرضها وجعلها عبادة خاصة به، وأفضل قربة يتقرب بها العبد الصالح لمولاه. ولذلك كانت جُنة متينة وحصنا منيعا يقي ويحفظ صاحبها من الوقوع في المعاصي والفواحش في الدنيا، ويدعوه إلى المزيد من الاقبال على الطاعة، والاكثار من التوبة والاستغفار، ويكسر شهوته فينقاد بنشاط واشراقة روح لكل ما يرضي الله. أما في الآخرة فإن الصيام سيكون جنة ووقاية له من السقوط في النار التي أعدها الله تعالى خزيا ونكالا لكل متكبر عنيد. ومن عرف مكانة جنة الصيام وأهميتها في حياة المسلم كان جديرا به ان يحافظ عليها من التدنس أو التمزق.

5) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة باب يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد». رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي.

وزاد: «ومن دخله لم يظمأ أبدا» ورواه ابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال: «فإذا دخل أحدهم أغلق، من دخل شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا».

6) عن عبد الله يعني ابن مليكه عن عبد الله، يعني ابن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» قال: وسمعت عبد الله يقول عند فطره: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي». البيهقي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والامام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» ـ أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، واللفظ للترمذي. ورواه البزار مختصرا: «ثلاثة حق على الله الا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع».

7) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي: اما واحدة فانه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظرة الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا. وأما الثانية فإن خَلُوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة. واما الرابعة فان الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي. واما الخامسة فانه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر الى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وُفّوا أجورهم». رواه أحمد والبيهقي واللفظ له، والبزار.

أنواع الصيام وأحكامه

أنواع الصيام:

1) **الصيام الواجب**: ويتضمن الأقسام التالية:

ـ **صيام رمضان**: وهو واجب لما تقدم من أدلة الكتاب والسنة والاجماع.

ـ **قضاء رمضان**: لقوله تعالى: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخرى.

ـ **صيام الكفارات**: كصيام شهرين متتابعين بالنسبة للمفطر في رمضان عمدا، أو بالنسبة للذي ظاهر زوجه، كل ذلك إذا تعين عليه الصيام بدلا عن اطعام ستين مسكينا أو عتق رقبة، وكصيام ثلاثة أيام بالنسبة للحانث في يمينه لقوله تعالى ﴿ولكي يواخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون

أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾. المائدة.

ـ صيام النذر: والنذر هو: إلزام المرء نفسه بصيام يوم مطلق أو أيام مطلقة، أو يوم معين أو أيام معينة، فمن ألزم نفسه بشيء من ذلك فعليه أن يفي به لقوله تعالى: ﴿وليوفوا نذورهم﴾. سورة الحج.

2) **الصيام المندوب**: وهوالصيام التطوعي في أي يوم من أيام السنة، وبالأخص صيام الاثنين والخميس، والأيام البيض ـ اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري ـ وصيام عاشوراء وعرفة لغير الحاج.

3) **الصيام المحرم**: وهو صيام العيدين وأيام التشريق.

أحكام الصيام:

1) **أركان الصيام**:

للصيام ركنان هما:

أ ـ النية: لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى» فيجب تعيين النية في كل صوم واجب كصوم رمضان وقضائه والنذر والكفارات، وتكفي النية في أول كل صوم يجب تتابعه كرمضان والكفارات، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر كله، فإذا ما طرأ عذر شرعي كالحيض والنفاس أو المرض وجب تجديد النية لما بقي بعد زوال العذر.

ب ـ الامساك عن المفطرات: من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقول الله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

2) **شروط الصيام**:

يشترط في الصيام:

أ ـ الاسلام: إذ غير المسلم لا يصح منه الصيام ولو صام فانما هو جائع فقط، لأن الصيام عبادة، والكافر لا يمكن أن يعبد الله وهو في نفس الوقت كافر به جاحد لوجوده أو شريعته.

ب ـ البلوغ: لأن غير البالغ لا زال غير مكلف، وإذا صام صح منه، بل وينبغي تعويد الصغار على الصيام قبل البلوغ حتى يتدربوا عليه لحديث الربيع بنت معوذ، قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة «من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك ونصوم صبياننا الصغار». البخاري والمسلم.

ح ـ العقل: فلا يفرض على من زال عقله لعدم تكليفه.

د ـ الاقامة: فلا يجب على المسافر، ومن صام صح منه لقول الله عز وجل ﴿وان تصوموا خير لكم﴾.

هـ ـ القدرة على الصيام: فلا يجب على من عجز عنه لمرض، لقوله تعالى ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾. وإذا كان المرض خفيفا لا تتطلب تعاطي أدوية وتناول طعام وصام المسلم صح منه وكان خيرا له.

و ـ الطهارة من دم الحيض والنفاس.

ز ـ ثبوت رؤية هلال رمضان: لقول الله عز وجل ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

3) **مبطلات الصيام**:

المبطلات للصيام نوعان: نوع يبطل الصيام ويوجب القضاء فقط، ونوع يبطله ويوجب القضاء والكفارة فمما يبطله ويوجب القضاء فقط:

أ ـ الخطأ: فمن أفطر خطأ وجب عليه الكف عن الأكل والشرب، ثم إعادة اليوم الذي أفطره بعد انتهاء رمضان وذلك لمن ظن أن الشمس غربت فأفطر، ثم ظهرت الشمس، أو سمع ما بشبه آذان المغرب فأفطر، ثم ظهر له ان ذلك لم يكن آذانا للمغرب.

ب ـ من أكل ناسيا أو شرب، ثم تذكر فتحادى في الأكل والشرب عمدا معتقدا أنه ما دام أفطر فلا يجب عليه الامساك، فعليه القضاء فقط.

ح ـ النسيان: قال الامام مالك فيمن جامع ناسيا لصومه عليه القضاء دون الكفارة، حيث شبه ناسي الصوم بناسي الصلاة، وكما أن ناسي الصلاة عليه أن يعيدها عند التذكر، كذلك ناسي الصوم عليه أن يقضي بعد انتهاء رمضان، ورأى البعض من العلماء أن النسيان لا يوجب قضاء لقوله ﷺ: «من نسى ـ وهو صائم ـ فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه». وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من أفطر في رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة». رواه البيهقي وصححه الحاكم، وقال ابن حجر: إسناده صحيح. وقال ابن رشد: «وهذا الأثر يشهد له عموم قوله عليه الصلاة والسلام «رُفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». ثم قال بعد مناقشة الخلاف المثار حول هذه المسألة: «فكيفما قلنا فتأثير النسيان في اسقاط القضاء بين والله أعلم» 1/ص: 122 بداية المجتهد.

د ـ القيء عمدا: فمن استقاء عمدا عليه القضاء فقط، أما من غلبه القيء فلا قضاء ولا كفارة لقول النبي ﷺ «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمدا فليقض». رواه أحمد وأبو داود.

هـ ـ الحيض والنفاس: ولو في اللحظة الأخيرة قبل غروب الشمس، فيجب على المرأة أن تقطع صومها.

و ـ الاستمناء: بسبب تقبيل للزوجة أو لمس أو نظر أو تفكير، فإنه يوجب القضاء.

ز ـ قطع النية: أي من نوى الفطر ـ وهو صائم ـ بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا.

ح ـ وصول ودخول شيء إلى البدن: فاذا دخل شيء إلى البدن ـ من غير الطعام والماء ـ أفطر صاحبه ووجب عليه القضاء، سواء دخل إلى البدن عن طريق الفم أو العين أو الأذن، أو الدبر أو الأنف.

ط ـ غياب وفقدان العقل: سواء كان فقدان العقل بسبب جنون أو سكر أو تخدير، أما من أغمي عليه بعض الوقت فلا قضاء، فإذا استمر طول اليوم وجب عليه القضاء.

ي ـ الردة والعياذ بالله تعالى، فمن ارتد عن دينه بطل صومه، ووجب عليه أن يتوب أولا ثم يعبد الله بما فرضه عليه ثانيا.

أما ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة شيئان:

1) الجماع في نهار رمضان عمدا وبدون عذر شرعي.

2) تناول المفطرات في نهار رمضان عمدا وبدون عذر شرعي كذلك، كتناول الأكل والشرب.

بعض الأشياء التي لا تفسد الصوم ولا توجب قضاء

1) تقبيل الزوجة وملامستها بشرط أن يكون المرء مالكا لزمام نفسه متحكما في شهواته، اما إذا كان غير آمن على نفسه فيجب عليه الابتعاد على كل ما تخشى منه الفتنة. قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا عند النبي ﷺ: فجاء شاب فقال: أقبل وأنا صائم، قال: لا، فجاء شيخ فقال: أقبل وأنا صائم قال: نعم. فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ: «قد علمت لم نظر بعضكم إلى بعض، أن الشيخ يملك نفسه» أخرجه أحمد والطبراني في الكبير.

2) الاكتحال: ومثله ما يقطر في العين من الأدوية، بشرط ألا يصل شيء منها الى الحلق، فإن وصل إلى الحلق يرى بعض العلماء أن ذلك مفسد للصوم.

3) الدهن: أي دهن الشعر بزيت وغيره - ان كان لغير الزينة - أما الاكتحال أو الادهان لقصد التزين فمكروه.

4) الحقنة، وذلك في غير الدبر وقبل المرأة كحقن الدواء في الأوراك والعروق.

5) تبرد الصائم: فمن برد حرارته بالاغتسال وصب الماء على رأسه وعلى بدنه لم يفسد صومه بشرط عدم المبالغة في ذلك.

6) مضغ الطعام للصبي بشرط ألا يصل شيء منه إلى حلق الصائم.

7) الاحتلام في رمضان نهارا لا يفسد الصوم.

9) تأخير الغسل من الجنابة: أي من أجنب ليلا ولم يغتسل حتى أصبح فإن ذلك لا يفسد صومه.

10) ولا يضر وصول ذباب أو بعوض أو غبار من طريق أو غربلة نحو دقيق إلى جوفه، فإن ذلك كله لا يفسد الصوم.

مكروهات الصيام:

يكره للصائم أن يذوق شيئا مفطرا من غذاء أو دواء بلا عذر، وكذلك مضغ العلك، وكذلك المبالغة في المضمضة والاستنشاق أثناء الوضوء أو الغسل، وتقبيل زوجته إذا كان مالكا لإربه متحكما في نفسه كما يكره له تكرار النظر بشهوة إلى امرأته، واداعة الفكر في الشهوة. اما النظر إلى المرأة الأجنبية فحرام.

الأعذار المبيحة للفطر:

1) السفر: لقول الله عز وجل ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾.

2) المرض: للدليل السابق، والمرض المبيح للفطر هو المرض الذي يعرف فيه المريض من نفسه أن انقطاعه عن الطعام والشراب يزيده مرضا أو يؤخر برأه، أو بتكليف الطبيب المسلم اياه بتناول الدواء والطعام والماء.

3) الحمل والرضاع: يباح للحامل والمرضع الفطر في رمضان وعليهما القضاء فقط، إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما من حصول ضرر.

4) الكبر والهرم: فيجوز للشيخ الهرم والمرأة العجوز إذا لحقهما بالصوم مشقة أن يفطرا ويطعما لكل يوم مسكينا على قدر طاقتهما.

آداب الصيام

● بعض آداب الصيام:

أ - السحور وتأخيره:

1) - عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركة». رواه البخاري ومسلم.

2) - عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية». رواه البخاري ومسلم.

3) - عن عمر وبن ميمون قال: «كان أصحاب محمد ﷺ أعجل الناس إفطارا وأبطأهم سحورا». رواه البيهقي بسند صحيح.

ب - تعجيل الفطر:

4) - عن سهل بن سعد: ان النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر». رواه البخاري ومسلم.

5) - وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن فعلى تمرات، فإن لم تكن، حسا حسوات من ماء». رواه أبو داود والحاكم وصححه، والترمذي وحسنه.

6) - وعن سلمان بن عامر: ان النبي ﷺ قال: «إذا كان أحدكم صائما، فليفطر على التمر، فإن لم يجد التمر فعلى الماء فان الماء طهور». رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

ج - الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام:

7) - روي ابن ماجة عن عبد الله بن عمر بن العاص: ان النبي ﷺ قال: «ان للصائم عند فطره دعوة لا ترد».

8 - وروي الترمذي - بسند حسن - انه ﷺ قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والامام العادل، والمظلوم».

● شروط قبول الصيام:

1) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه الجماعة إلا مسلما.

وفي رواية الطبراني: «من لم يدع الخنا والكذب فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه».

2) - وعن عبيد مولى رسول الله ﷺ: «أن إمرأتين صامتا، وان رجلا قال: يا رسول الله: ان ههنا إمرأتين قد صامتا، وانهما قد كادتا أن تموتا من العطش، فاعرض عنه أو سكت، ثم عاد وأراه قال:

بالهاجرة قال: يا نبي الله انهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا، قال: ادعهما، قال: فجاءتا، قال فجيء بقدح أوعس، فقال لاحداهما قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا أو لحما حتى ملأت نصف القدح، ثم قال للأخرى قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست احداهما إلى الأخرى، فجعلتا تاكلان من لحوم الناس». رواه أحمد.

3) - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر». رواه النسائي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح على نثره البخاري.

الأعمال المطلوبة من الصائم

أ - تلاوة القرآن:

1) - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان». رواه الامام أحمد والطبراني.

2) - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أخرى أيضا. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها امثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها.

قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: «يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي؟ فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير. قال فقرأت ثم جالت أيضا فقال رسول الله ﷺ: اقرأ بن حضير، قال فانصرفت وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها امثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم». رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

ب - الذكر - والاستغفار - والدعاء:

1) - عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «يأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، . . . ، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بها ربكم، وخصلتين لاغناء بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم عنها: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، . . . ». رواه ابن خزيمة.

ج - الجود والاطعام:

2) - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، وفي رواية فيدارسه القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة». رواه الشيخان.

3) - وعن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «يأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، . . . ، من فطّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل اجره من غير أن ينقص من أجره شيء، . . . ، يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائما على تمرة أو على شربة ماء، أو مذقة لبن، . . . ». رواه ابن خزيمة.

4) - عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من فطّر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا». رواه الترمذي وأحمد.

5) - عن أم عمارة الانصارية رضي الله عنها ان النبي ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعاما فقال: كلي فقالت: إني صائمة، فقال رسول الله ﷺ: ان الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا، وربما قال: حتى يشبعوا، وفي رواية: الصائم إذا أكل عنده المفاطير صلت عليه الملائكة. رواه الترمذي بسند صحيح.

● المتهاونون في الصيام:

1) - عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي - بكتفي - فأتيا بي جبلا وعرا فقالا: اصعد. فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: انا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما، قال قلت، من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم». رواه ابن خزيمة، وابن حيان في صحيحهما.

2 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، ان رسول الله ﷺ قال: «من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقضه صوم الدّهر كله وان صامه». رواه الترمذي.

3 - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، ان النبي ﷺ قال: «عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان». اخرجه أبو يعلى والديلمي بسند حسن، وقال الذهبي حديث صحيح.

4 - وعن زياد بن نعيم الحضرمي، ان النبي ﷺ قال: «اربع فرضهن الله في الاسلام فمن جاء بثلاث لم يغني عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا: الصلاة، والزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت». أخرجه الامام أحمد مرسلا.

صيام التطوع

1 - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا» رواه البخاري والمسلم.

ويتأكد استحباب الصوم في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام يوجد بعضها في كل سنة: كصيام ستة أيام من شوال، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، وعشر ذي الحجة، والمحرم.

وبعضها يتكرر في كل شهر: كأوله وأوسطه وآخره، وأفضل منه: صيام الأيام البيض الثلاثة.

وبعضها يتكرر في كل أسبوع: وهو يوم الاثنين ويوم الخميس. وافضل صوم التطوع صوم داود عليه السلام وقد كان يصوم يوما ويفطر يوما.

2 - **ستة أيام من شوال**: عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر» رواه الخمسة إلا البخاري.

3 - **يوم عرفة لغير الحاج**: عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة اني احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده». رواه الخمسة إلا البخاري.

4 - **يوم عاشوراء**: عن أبي قتادة رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال: «صيام يوم عاشوراء اني احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله». رواه الخمسة إلا البخاري.

5 - وقال رسول الله ﷺ: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا قبله يوما أو بعده يوما». أخرجه أحمد والبيهقي بسند جيد.

6 - **عشر ذي الحجة**: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مامن أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر». رواه الترمذي.

7 - **المحرم**: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». رواه الخمسة إلا البخاري.

8 - **شعبان**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان، كان يصومه إلا قليلا. بل كان يصومه كله». رواه البخاري ومسلم.

9 - وعن أسامة رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله لم أراك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب ان يرفع عملي وأنا صائم». رواه النسائي.

10 - **صيام ثلاثة أيام من كل شهر**: فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اليوم بعشرة﴾». رواه الترمذي.

11 - قالت معاذة العدوية رضي الله عنها لعائشة: «أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم فقلت لها: من أي أيام الشهر كان يصوم، قالت: لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم». رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

12 - **صيام الأيام البيض**: عن ملحان القيسي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصوم البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة قال وقال: هن كهيئة الدهر». رواه أصحاب السنن.

13 - **يوم الاثنين والخميس**: عن أسامة بن زيد رضي عنه قال: «إن النبي الله ﷺ كان يصوم الاثنين والخميس، وسئل عن ذلك فقال: ان أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس فأحب ان يعرض عملي وأنا صائم». رواه أصحاب السنن.

14 - **صيام يوم وفطر يوم**: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود عليه السلام. كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه». رواه البخاري ومسلم.

فوائد الصوم

أ - الروحية:

1) - قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. البقرة.

ب - الصحية:

2) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... صوموا تصحوا، ... ».

ومن الحكم القديمة: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء. وقد أثبت الطب الحديث أن كثيرا من الأمراض المنتشرة مثل: ارتفاع الضغط الدموي، وتصلب الشرايين، والسكرى، والذبحة، وأمراض القلب، وتضخم الكبد، هي من أمراض التخمة، التي كثيرا ما تعالج بالتقليل من كميات الأكل. والخالق البديع الخبير العليم: أحكم الحاكمين.

ج - الاجتماعية:

إن صيام رمضان بحقه لا بد أن يولد في قلوب الأغنياء والأقوياء العطف والرحمة على المساكين والمستضعفين لاحساسهم بما يعانونه طيلة الدهر من ألم الجوع ومرارة الحرمان، فيبادرون إلى مواساتهم وجبر كسر قلوبهم فتسود الأخوة والمحبة في مجتمع الصيام والقيام والانفاق...

فضل التراويح وكيفية تأديتها

1) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بغزيمة فيقول: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنهما - رواه الخمسة.

2) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله،

حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر، أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد فانه لم يخْفَ عليَّ مكانكم، ولكني خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها». فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك - رواه الثلاثة.

3) عن عبد الرحمان بن عبد القاري رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع - جماعات - متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أَمْثَلَ - أفضل وأحسن - ثم عزم فجمعهم على أبي بن كَعْب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: «نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله - البخاري -

4) عن أبي سلمة بن عبد الرحمان رضي الله عنه أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي. - رواه الخمسة -

والحديث يدل على أنه ﷺ كان ينام نومة بعد ثمان ركعات ثم يقوم فيصلي ثلاثا بنية الوتر بتسليمة واحدة وهذا ما دعا عائشة رضي الله عنها إلى سؤال رسول الله ﷺ عن ذلك، وقول عائشة ذلك لا ينافي انه ﷺ صلى القيام أكثر من هذا ولم تره عائشة. التاج في الأصول 2/66.

5) عن يزيد بن رومان رضي الله عنه قال: كان الناس يقومون في زمن عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة، وروي عن النبي ﷺ أو عن ابن مسعود: «ما رآه المومنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المومنون قبيحا فهو عند الله قبيح». رواهما الامام مالك رضي الله عنه.

قال صاحب التاج في الأصول: المراد بالمومنين خواصهم، وهم أهل العلم والكتاب والسنة والفقه والصحابة من أهل ذلك. وقال الامام مالك: الأمر عندنا - بالمدينة - بتسع وثلاثين، وبمكة بثلاث وعشرين - أي بالوتر فيها - لأن أهل مكة كانوا يطوفون مرة بين كل أربع ركعات - ولا حرج في ذلك لأنها صلاة ليل لا حد لها، فمدارها في التراويح على عشرين ركعة ومن أراد الزيادة فليتهجد آخر الليل كما يشاء والله أعلم. 2/67 - التاج في الأصول.

فضل ليلة القدر

1) قال الله عز وجل ﴿انا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾.

2) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه مختصرا، وأبو داود.

الاعتكاف

الاعتكاف شرعا: هو أن يلزم المسلم الطاهر طهارة كبرى وصغرى نفسه بالْمُكْث في المسجد مدة زمنية على قدر استطاعته بنية الاعتكاف والتقرب إلى الله عز وجل بهذه الطاعة الاختيارية.

وهي طاعة مشروعة تستمد شرعيتها من الكتاب والسنة، فمن القرآن قول الله عز وجل: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ - البقرة - ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. - سورة الحج - ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ - سورة البقرة -.

ومن السنة: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده». رواه الخمسة.

فالاعتكاف سنة بالاجماع، ويتأكد في العشر الأواخر من رمضان، ومن أوجبه على نفسه بنذر أصبح في حقه واجبا يجب عليه أن يفي به.

فضله:

1) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في المعتكف: «هو يعكف الذنوب ويجري له من الحسنات كعامل الحسنات كلها» رواه ابن ماجه - أي الاعتكاف يحفظ المعتكف من الشرور ويكتب له كثواب فاعل الطاعات كلها لأنه حبس نفسه في بيت الله تعالى طلبا لمرضاته.

2) روي عن علي بن حسين عن أبيه رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: «من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين». رواه البيهقي - أي ينال ثوابهما.

3) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: أراك مكتئبا حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلانٍ عليَّ حقُّ ولاءٍ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت. قال: فانتقل ابن عباس، ثم خرج من المسجد. فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ - يعني من الاعتكاف - قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ، والعهد به قريب فدمعت عيناه، وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين». رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له.

وفي هذا الحديث بيان فضل قضاء حاجات المسلمين، والشفاعة لهم، والاصلاح بينهم، وبيان علو المنزلة وزيادة الدرجات لمن يجيب رجاء الطالبين ويكون غيثا للسائلين ونصير المستضعفين، وأن الزمن الذي يصرف في ذلك يساوي أضعاف أضعاف غيره من ذكر وصلاة من أنواع العبادة.

كما يدل من جهة أخرى على ما كان عليه ابن عباس من فهم دقيق وفقه عظيم لأمور الدين، ما أحوج بعض المتصدرين للفتوى في

عصرنا إلى التعلم منه فينظرون إلى الدين بعينين مفتوحتين بدل أن ينظروا إليه بعين واحدة رحداء، فيوازنوا بين النصوص وينزلوها على الواقع الحي الذي يتحركون فيه، حتى يجنبوا الناس الفتنة في الدين ويرفعوا عن الناس الحرج الذي هو احدى مقاصد الشريعة الغراء.

شـروط الاعتـكـاف :

1) الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل.

2) أن يكون بالمسجد الذي تقام فيه الصلاة الراتبة، وأجاز أبو حنيفة للمرأة أن يعتكف في مسجد بيتها.

3) واشترط البعض الصيام أخذا من قول عائشة رضي الله عنها «ولا اعتكـاف إلا بصـوم». - أبـو داود والنسائي - وبهذا قال جمهور السلف والخلف ومالك وأبو حنيفة. بينما رأى البعض أن الصيام ليس شرطا كالشافعي واحمد واسحاق وقبلهم بعض الصحب والتابعين، أخـذا من الحديث الذي رواه البيهقي والحاكم وصححه «ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسـه» ولمـا ثبت من ان النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من شوال وفيها العيد. روي حديث الاعتكاف في شوال الخمسة إلا الترمذي.

أركـانـــه :

1) المكث في المسجـد، وعـدم الخـروج منـه إلا للحـاجـة الضرورية، أما الأكل والشرب فلا يخرج لهما لجوازهما في المسجد.

2) النية.

مبطـلاتـــه :

1) الخروج من المسجد عمدا لغير حاجة ضرورية.

2) الحيض أو النفاس.

3) مباشرة النساء.

نأمل أن يقبل المسلمون على احياء سنة الاعتكاف، لأنه مرابطة في سبيل الله، وحبس النفس على طاعة الله تعالى، وفي ذلك ما فيه من تدريب النفس وتعويدها على الخضوع لأوامر الله، والانقياد لشرعه، والرغبة فيما عند الله من الثواب، كما نرجو من القيمين على المساجد أن ييسروا الأمر للراغبين في إحياء هذه السنة.

زكـاة الفطـر

1 - قال الله تعـالى : ﴿قـد أفلح من تزكى وذكـر اسـم ربه فصلى﴾. عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الأية فقال: «نزلت في زكاة الفطر». رواه ابن خزيمة.

2 - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات». رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم وصححه.

3 - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «فرض رسول الله ﷺ زكـاة الفطر صاعا من تمر أو صاع من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة». رواه الخمسة.

4 - وعن ابن عمر أيضا رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال: «اغنوهم في هذا اليوم».

وفي رواية البيهقي «اغنوهم عن طواف هذا اليوم».

العيـد : فضـله وآدابه

1 - عن سعـد بن أوس الانصاري عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبـواب الـطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعمتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا أن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة». رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر الجعفي.

2 - عن حسن السبط قال : «أمرنا رسول الله ﷺ في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد، وان نضحي بأثمن ما نجد». رواه الحاكم.

3 - وعن بريدة قال: «كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع». رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد وزاد في كل من أضحيته.

4 - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي ﷺ كبر في عيد ثنتي عشرة تكبيرة سبعا في الأولى وخمسا في الآخرة، ولم يصل قبلها ولا بعدها». رواه أحمد وابن ماجة.

5 - وعن جبير بن نفير قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقـوا يوم العيد يقـول بعضهم لبعض: «تقبـل منـا ومنـك» وتسن مصافحة الرجلين والمرأتين، وتحرم مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية من غير حائل».

6 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا أعيادكم بالتكبير». رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

إعتذار

نظرا لطول دراسات المحور، وإدراجنا لملف خاص برمضان، نعتـذر للقـراء الكـرام عن عدم نشر الحوار مع الدكتور محسن عبد الحميد حول نشأة وتطور الفكر الاسلامي الحديث كما وعدنا بذلك في العـدد السـابق، رغبة منا في عدم تجزئته. وسنقوم بنشره بكامله في العدد المقبل إن شاء الله.

مع الكتب

في النقد الذاتي

ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية (تتمة)

تأليف : خالص جلبي، تقديم : الهدى

سبق أن قدمنا - في العدد السابق - تعريفا موجزا بالكتاب ومؤلفه، وعرضنا أهم أفكار المقدمة، والفصل الأول، المتعلق بالنقد الذاتي لماذا؟. ونعرض الآن - بتركيز أيضا - ما تضمنه الفصل الثاني: النقد الذاتي كيف؟

وهذا الفصل - وهو أصغر الفصول الثلاثة في الكتاب - يحاول الاجابة على سؤال يورده المؤلف في أول صفحة منه، وهو: (ماذا نحتاج أثناء ممارسة النقد الذاتي؟) والجواب عنده أن النقد الذاتي يتطلب العلم والعقل، وهما يفترضان الموضوعية. والموضوعية - أو لنقل الانصاف - أمر صعب ولكنه ليس مستحيلا مع بذل الجهد المناسب والتدريب اللازم.

وإذن فنجاح عملية النقد الذاتي يقوم على تحكيم العلم والعقل، والرضى بالانصاف. وهذا لا يتم إلا بالتخلص من أضداد هذه الصفات، والتحرر من تأثيرها، وتتلخص هذه في: **الظن والهوى**. ولهذا نجد القرآن بقدرما يزكي العلم والعقل ويشيد بهما، بقدر ما يذم الظن والهوى ويحذر منهما.

وكما أن تفاعل العلم والعقل يعطي حركة صاعدة بناءة، فإن تفاعل الظن والهوى يعطي حركة نازلة هدامة. وكلاهما حركة لولبية، حلزونية، من أسفل لأعلى في الحالة الأولى، ومن أعلى لأسفل في الحالة الثانية.

وبهذه الشروط تتحقق الموضوعية، أو الانصاف والعدل. وهي صفة داخلة في الأمر الالهي (اعدلوا هو أقرب للتقوى). والعدل في مجالنا هذا يعني الانضباط بالحق والصواب بعد التحري بواسطة أداة النقد الذاتي. (وهنا يحصل تعارض شديد بين الفكر الحزبي والفكر الموضوعي. فالحزبي إنسان أعمى، لأنه يفقد روح المراجعة) ص 158.

ومن الآفات التي تفسد عملية النقد الذاتي، وتحرم من ثمرتها، آفة المجاملة والمداهنة في الحق، وآفة التعصب وحب الانتصار التي تدفع إلى التجريح والرغبة في الانتقام. وفي هذا يقول المؤلف: (إن أجواء المسلمين - في قسم منها، لعله ليس بالقليل - قد سيطر عليها التأرجح بين أمرين: فلأن تناول الاحداث، والمواقف، والأشخاص، والجماعات، والتاريخ بشكل عام، يجعل البعض في حرج، فلا بد إذن من المجاملة. وهكذا لا تمس القضية وتترك بدون حل. أو - في الطرف المقابل - إذا حدث بحث فيها أدى إلى تكهرب الجو وتوتر الأعصاب، والنزاع أو المهاترة وروح الانتقام والتحطيم من الاطراف المشتركة في الحديث. أي أن الموضوع يتحول من قضية موضوعية إلى قضية شخصية لكل منها مزاجه) ص 155.

فالنقد السليم هو الذي يتجاوز المجاملات والتملقات، ولكنه لا يتجاوز الآداب الأخوية والحدود العلمية. لأن عدم تجاوز المجاملة والمداهنة عند الحوار يبطل العملية من أصلها. بينما تجاوز الحدود فيها يجعلها عملا مفسدا هداما. فلا بد من صراحة ووضوح وصدق، وأيضا لا بد من العلم والتعقل والتأدب. ومن أدب الحوار (الاصغاء أكثر من الحديث، في محاولة لاكتشاف المتكلم. ذلك أن اكتشافه هي المرحلة الأولى التمهيدية لمخاطبته) ص 163.

وهناك من يتعرض على النقد والصراحة في التناصح والحوار، بدعوى أن ذلك يهدد سلامة الصف. وعن هذا الاعتراض يرد بقوله: (إن المشاكل يجب تناولها بصرامة وهدوء. وتجنب البحث بدعوى المجاملة والمحافظة على الصف الاسلامي من التمزق وَهْمٌ. لأن البحث وبلورته واكتشاف جوانبه هو الذي سيقود إلى تلاحم الصف أكثر. لأن الوحدة الفكرية تأتي من قاعدة مشتركة للأفكار، وليس من قاعدة وهمية. إن شعورنا بتباين الآراء يجب أن لا يفزعنا، بل الفزع حين يترك الأمر معلقا حتى نصطدم به بعد ذلك اصطداما خشنا غير محسوب). ص 162. (إن إغلاق البحث، والانفعال عند ظهور الصعوبات سوف يجعل الورم الفكري في موضعه في أمان. وقد يتطور إلى خبث مع المستقبل، لا تدري؟.) ص 163.

ويذكر مثالا واقعيا تتمثل فيه هذه العقلية، عقلية الخوف من الحوار، ومن إثارة المشاكل خشية الاختلاف والحزازات. وذلك أن المؤلف نزل ببلد للعمل فيه. وبما أنه معروف بآرائه المتميزة، وحيله إلى النقد والمراجعة للعمل الاسلامي، فقد قرر الاخوة هناك تحاشي الاتصال به تجنبا لأي نقاش قد يفضي إلى الاختلاف والتأثر.

والمؤلف يشبه هذه الحالة، بحالة الطبيب الجراح الذي تواجهه صعوبات في إجراء عملية جراحية فينفعل ويتخوف ويغلق البطن دون فعل شيء، ويترك الورم كما هو. . .

ومما يستلزمه النقد الذاتي الناجح: الشمولية. ويقصد بها أن يكون النقد الذاتي

حاضرا مألـوفـا في كل المجـالات، وفي كل الأصعدة، أن يمارسه الانسان على نفسه، في كل جوانب حياتـه، وأن تمارسـه الجـماعة في مختلف أوجـه نشـاطهـا، وأن تمارسـه الدولة وتجشعه في سائر مرافقها وأجهزتها (إن النقد الذاتي حركة ديناميكية حية متطورة نامية وأداة انضـاج للوعي . . . إنها أداة يقـظة للوعي الـداخـلي، وتـطهـير أخـلاقي في مستـوى الفرد . وهيا بناء أسرة متماسكة، والعيش في جو جماعـة صحي، وتطهير الوسط السياسي من الارهـاب والتسلط وبنـاء علاقـات بين الجماعات البشرية.

إنهاعقـل يقظ وصحـة طبية، وفراش صحي، وثياب نظيفة، واعتدال في النفقة، وشامة بين الناس، **﴿يأيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾**.

وهكـذا يصبـح النقـد الـذاتي عمـلا مألـوفـا. بل خلقـا طبيعيا لا تكلف فيه ولا استثقـال. ويصبـح بمثـابـة المرآة التي ينظر الانسان فيها نفسه في كل وقت. وبهذا يصبح المسلم دائم الانتباه لنفسه ولأعماله، وتصبح الجماعة - أيضا - دائمة المراجعة والتصحيح والتحسين لأعمالها ونشاطاتها.

وفي غيبة النقد الذاتي تتراكم المشاكل، وتنمـو العيوب، وتتضخم الآفـات. فتـأتي النتـائج المؤلمـة، والمآلاتالمخيبة للآمال. ومع ذلك لا نعتبر، ولا نراجع أنفسنا، ولا نبحث عن أخـطائنـا. وكـأن نوايانـا الحسنـة - إن خلصت - هي كل ما يلزمنـا، وهي وحـدهـا تبرىء ساحتنا من كل مسؤولية (إن الكوارث التي حلت بالعمل الاسلامي حتى اليوم ينظر إليها بأنها أمر الله الذي لا دخل لنا فيه، كما هو الحال في البراكين والزلازل.) ص 307.
وهذا موقف أسوأ من ذلك الذي ذكره الله في معـرض التنبيه واللوم **﴿أوكلمـا أصـابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾**.

الهـدى.

في زمن وأد العواطف ونحر الإنسانيات
في وقت إلهاب الضغائـن وشحـذ العصبيـات
في عهد الخطب الميتة المنسوجة من النفاق والخديعة
فـي عـهـد انتـفـاخ البطـالـة وانكمـاش التشغيـل

حب فوق الرق

حب فوق الرقِّ
قلبٌ في أحشاء الدُّفِّ
ماتت كلمات الحبِّ
عاشت ضربات السيفِ

★ ★ ★

يا شعبا ذاق من الخَسْفِ
ألوانا في عد الأَلْفِ
وتنام على هذا الضعف
ما بالك لا تدري معنى الزحف
ما بالك لا تحمى كليالي الصيف
ما بالك تخطىء في القصف
ونساؤك لا يقوين على النّتف
أعيونك في اللفّ
أقلوبك في وجف
أعقولك في كهف
وأياديك في العزف
ورؤوس شبابك في قطف

★ ★ ★

وتصيح ماذن في الخَلْف
في ذرى لبنان وفي القدس
في يافا وحيفا وأرض الفرس
في شرق وفي غرب الشمس
تدعو الأحرار إلى الصفّ
تلقى الأضواء على الزيف
رايات الانصار في رجف
وملائكة الرحمن تنزَّل في ردْف

بشراكم يا أهلَ البقره
أنفاسُ المسك وأرواحهم طاهره
يا من فزتم يوم الأخره
بجوار العرش وأعينهم ناظره
بشراكم يا أهل الشرفِ
في النور بدت لي صورتكم
في الأفق تراءت طلائعكم

★ ★ ★

وتهيج عواطفنا الثورية
ونسير عاى درب الحرية
تندك صروح السخفِ
ويموت شعارُ الخوف

★ ★ ★

يا من ماتوا شهداءُ
كيما يحيا الأبرياءُ
ونعيش بلا عنف
وبلا خوف
كيما يغنى الفقراءُ
ونعيش بلا خطف
وبلا سلف
أنتم نعم السعداءُ
لبيتم نداء النساءُ
الورد ابتسامتكم
واللباسُ ضياءُ
الحمام رسالتكمْ
والحب غناءُ

أبـو محـمـد

بريد القراء

● أرسل إلينا الأخ جواد مربوح من فاس مقالا بعنوان:

كيف يفسرون العودة إلى الاسلام

يعرف عصرنا الحاضر إهتماما متزايدا بالدراسات السياسية في المجال الديني، وهذا الاهتمام جاء نتيجة ظهور حركات إسلامية تطالب بالعودة إلى الله من جهة، وتبني بعض الدول النظام الاسلامي من جهة ثانية. وقد تولد عن ذلك الاهتمام حوار فكري وسياسي حول طبيعة «هذه العودة» وأهداف المطالبين بها إلى حد اعتبرها بعضهم رجوعا إلى المجتمع التقليدي الذي من سماته - حسب رأيهم - الثبات والجمود والوقوف في مواجهة التغير والتطور، في حين يرى آخرون أن أسباب هذه المطالبة ترجع إلى تراكم الضغوط الاجتماعية والنفسية نتيجة الانتصارات العسكرية والسياسية الغربية، وكذا التغيرات الاقتصادية مثل ارتفاع الأسعار وما ترتب عنه من زيادة في معدل الانفاق في دول العالم الثالث ومنه العالم الاسلامي، بالاضافة إلى هيمنة ثقافة الغرب وتهميش الثقافة الاسلامية، كل هذا حسب وجهة نظرهم أدى بمجموعة من الناس إلى المطالبة «بالعودة إلى الله». وهناك رأي آخر أكثر ذكاء وعداء مفاده: إن النظام الديني يلعب دورا هاما في قيادة التغيير الاجتماعي لفرض تصور أكثر تقدما من الناحية التنظيمية والأخلاقية على الواقع الاجتماعي وهنا ينبغي أن ينتهي دوره. أما أن تحكم قوانينه المجتمع فلا.

وتزداد المناقشات السياسية حدة في الشرق والغرب حول تحديد طبيعة «هذه العودة» وأهدافها لأنهم وقعوا تحت تأثير الانطباع بأنهم اكتشفوا شيئا جديدا أو ظاهرة سياسية كما يقولون، هذا الشيء الذي يتمثل حسب رأيهم في رفض الحضارة بشكل عام والحضارة الغربية بشكل خاص، وقد أسسوا رأيهم هذا انطلاقا من استنتاجهم أن المطالبة «بالعودة إلى الله» لا تقف عند حدود «العودة إلى الأصول» بهدف الاصلاح أو التحديد قصد السيطرة على الحكم ثم العودة إلى الاندماج مرة ثانية في المجتمع الجاهلي كدأب بعض الدول الاسلامية بل الأمر أبعد من ذلك وأخطر، وهو لذلك يتطلب مجهودا فكريا ماليا لتشويه هذه المطالبة والقضاء عليها. وبالفعل إذا تأملنا هذه الأراء الشديدة العداء للاسلام والمسلمين نجدها تحاول جادة إضفاء الطابع السياسي والسوسيولوجي على المطالبة «بالعودة إلى الله» وتجريدها من الطابع الاسلامي الرباني لتؤكد في النهاية على أن كل جماعة تنادي «بهذه العودة» انما هي وسيلة لتسييس القيم الدينية للاسلام بهدف السيطرة على الحكم.

ومن هنا يميل كثير من الناس إلى الاعتقاد بأن الحركات الاسلامية التي تطالب «بهذه العودة» اليوم انما هي حركات سياسية ذات أهداف سياسية، بل يعتبرها بعضهم شبيهة بحركات العنف السياسي في المغرب. إن هذا التصور الفاسد «للعودة إلى الله» ولاصحابها لا يدعو إلى الاستغراب حسب الفهم المستورد، لأن أعداء الله يعتقدون أن المجتمع الاسلامي يلتقي مع المجتمع الجاهلي الغربي في إطار نظام فكري وسياسي وأخلاقي تسوده نفس القيم المشتركة من جهة، وان عقلية كل مسلم تتصف بالتبعية في كل شيء من جهة ثانية، ومن هنا كانوا على شبه يقين أن ما يقدمونه من تأويلات وتفاسير لأي موضوع من الموضوعات ومنه موضوع «العودة إلى الله» سيحظى بالقبول التام دون مناقشة، يبدو لي أن اعتماد التفاسير والتأويلات الباطلة التي تستهدف التضليل وإشاعة الفرقة بين المسلمين لن يزودنا بصورة واضحة عن حقيقة هذا الموضوع الاسلامي. لذلك أرى أن تحسين المعرفة بهذا الموضوع الهام - من مصادر أخرى مبرأة من الهوى -، أمر ضروري لفهم حقيقته، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه المعرفة مجرد دراسة فقط بل لابد من الممارسة والتطبيق، وفي تقديري أن أهم ما يجب أن يبحث عنه الباحث هو «مصدر هذه العودة» ومنطلقاتها، لا على يد من ستتحقق لأن هذا الأمر موكول إلى الله وحده.

ومهما يكن من أمر، فإن التفسير الحقيقي «للعودة إلى الله» لا يمكن استكشافه إلا من القرآن الكريم نفسه الذي أخبرنا بأن «هذه العودة» تعني الرجوع إلى الحق من أجل إقامة مجتمع عادل يقضي فيه على الظلم في جميع صوره، وهذا المجتمع العادل هو الذي تشير إليه الآية الكريمة: **﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**. وغني عن البيان ان الحق من المبادىء الدينية التي تضمنتها جميع الكتب السماوية. يقول الله تعالى **﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم﴾**. - سورة الشورى -

ويبدو أن أكثر الناس كما أخبرنا القرآن يكرهون الحق، يقول الله تعالى **﴿لقد جئناكم بالحق. ولكن أكثركم للحق كارهون﴾** - سورة الزخرف -. كما أنهم يعتدون على المطالبين به ويقتلون الذين يأمرون بالقسط يقول الله تعالى: **﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾** - سورة آل عمران -، ولا شك أن الذين يأمرون بالقسط من الناس، هم الحكماء الذين يرشدون العباد إلى العدالة العامة في كل شيء ويجعلون العدالة روح الفضائل وقوامها كما يرى ذلك كثير من المفسرين، ودليل هذا القول: هو ذلك العصر الذهبي المشرق الذي كان فيه الحكم لله وما تحقق في ظله من انجازات علمية وحضارية مازال يسجله التاريخ ويحفظه لنا معجزة لم تتوفر لأمة من الأمم.

غير أن استكشاف المفهوم الحقيقي «للعودة إلى الله» يتطلب صحة عقلية يستطيع العبد بواسطتها تصحيح تصوره الايماني كي يكون في مقدوره النظر في مشكلات الحياة وفي مختلف القضايا بشكل عام لادراكها ثم تفسيرها.

وبقدر ارتقاء المرء في الفهم والنظر في علل الأمور يكمل إيمانه وبالتالي يصبح هذا الايمان موجها لعقله والقرآن الكريم قد دعا إلى الاستفادة من العقل لما فيه خير للانسان والمحافظة عليه والعمل على تغذيته وتقويته من أجل البحث عن الحق والخير لأن البحث عن الحق ضرورة دينية بل هو من مقتضى الفطرة، لذلك لا ينبغي أن يصد الانسان في بحثه عن الحق شيء كالتقليد الذي ذمه الله تعالى بقوله: **﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعملون شيئا ولا يهتدون﴾** - سورة المائدة -. وهذا ما حدث بالفعل لكثير من الناس حين راحوا يفسرون «العودة إلى الله» بأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية فقطعوا بذلك على أنفسهم طريق النظر وتركوا السبيل إليه وهي اتباع الفطرة باستعمال العقل، فضلوا وأضلوا ولم يعد لهم سبل أخرى يسلكونها فيهتدون بها إلى الحق.

إن الحق هو سبيل الله وهو أجدر بالاتباع، وإذا كان الأمر كذلك فان «العودة إلى الله» حق وواجب ديني وأمر أساسي لوجودنا. وبدون هذا الحق تصبح أمتنا عرضة للتغيرات والتقلبات إلى الحد الذي تنقطع فيه عرى الروابط الاجتماعية بين أفرادها ويصبح المتأخر منهم جاهلا بما كان عليه المتقدم.

إن الحقيقة المرة التي يجب أن يعلمها كل مسلم هي أن الأزمة التي نعانيها اليوم ليست إلا أزمة عقلية وهذا يعني أن الفكر عندنا ضعيف وأسير الشهوات والمصالح الشخصية وبالتالي هو فكر غير قادر على فهم كتاب ربه وغير قادر على الانتفاع بالموجودات التي سخرت من أجله لأنه غير مزود بالزاد الصالح لتقوية عقله وتنمية امكاناته.

أليس من أنكر المنكرات وأكبر خذلان للدين وجناية على أهله ألا ينظر المعارضون «للعودة إلى الله» في كتاب ربهم ليقفوا بأنفسهم على حقيقة هذه «العودة» وأهدافها بدلا من تشويهها والوقوف في وجه المطالبين بها.

أليس من أكبر المنكرات أن يعارض هذه «العودة» قطاع عريض من عبدة الشهوات وممن خلقوا لسكنى الجحيم؟

إن القرآن الكريم قد وصف هؤلاء الذين لا يستعملون عقولهم قصدا وعن غير قصد بأنهم أغبياء وغافلون لأنهم لا يفهمون فقه آياته في الكون والأنفس ومن ثم اعتبرهم القرآن شر الدواب. يقول الله تعالى: **﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾** ـ سورة الأنفال ـ. وقال تعالى: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل. أولئك هم الغافلون﴾** ـ سورة الأعراف ـ.

وإذا علمنا أن القرآن الكريم وهو كتاب الله ووحيه المنزل على رسوله الكريم قد اشتمل على وسائل كفيلة بتربية العقل وتقويته وتنمية إمكاناته من أجل فهم الموجودات واستغلالها لترقية النوع البشري علما ومعرفة ووجدانا، وعلمنا أيضا أن كتاب ربنا قد تضمن الحديث عن الحق باعتباره أساسا لقيام السماوات والأرض كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة **﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى، والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ ـ سورة الاحقاف ـ. إذا علمنا هذا وذاك لم يبق مجال للقول بأن «العودة إلى الله» تعني الرجوع إلى المجتمع التقليدي الذي تميز فعلا بالثبات والجمود والوقوف في وجه التغير حين خرج عن الخطوط العامة التي رسمت للمجتمع البشري الذي يريد أن يعيش حياة إسلامية كريمة، بل هذه «العودة» بدلا من ذلك تعتبر رجوعا إلى قديم نعتز به ويعتبر أساسا لبناء كل جديد. لكن اعداء «العودة إلى الله» في إطار التمسك بالقديم المتمثل في التمسك بالكتاب والسنة لم يرقهم ذلك باعتباره يهدد مصالحهم ويبين الطريق الصحيح الذي يجب اتباعه فاعتبروا ذلك رجوعا إلى التقليد دون الالتفات قصدا إلى دعوة القرآن الصريحة إلى طرح التقليد وذمه كما سبقت الاشارة إلى ذلك من قبل.**

إن المطالبة «بالعودة إلى الله» في إطار التمسك بالقديم معناه الرجوع إلى مصدر التلقي باعتباره يتضمن قواعد كلية تندرج تحتها جزئيات لا حصر لها بغض النظر عن الوقت الذي تظهر فيه، وبيان ذلك أنه كلما طرح واقعنا قضية أو جزئية عرضناها على قاعدة من قواعد القرآن الكلية لينظر أي قاعدة من هذه القواعد أنسب لاندراج هذه الجزئية تحتها، فتلحق بها التحاق الفرع بالأصل. وهذه القواعد الكلية هي التي تكفل الله بحفظها لتكون أساسا لبناء أي جديد، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ سورة إبراهيم ـ، وقال تعالى: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** ـ سورة يونس ـ. وإذا تقرر هذا لم يبق مجال للتشكيك في قيمة «هذه العودة» وفي مدى قدرتها على مسايرة الركب الحضاري، ولا يتعارض هذا قطعا مع منح القرآن الحرية لمصادر أخرى من المعرفة مادامت تتلاءم مع روح الرسالة الاسلامية وأهدافها وتخدمها، وأهم هذه المصادر: العقل، وقد عرضنا موقف الاسلام منه سابقا.

إن فشل كثير من المسلمين بوجه خاص في الوصول إلى معرفة حقيقة «العودة إلى الله» ينبغي أن يعزى إلى عجز هؤلاء عن التوفيق بين الحياة في ظل الاسلام والحياة في ظل الجاهلية، كما ينبغي أن يعزى إلى كون المتصلين بالدين الاسلامي إما جاهلين به أو منافقين لم يدخل الايمان في قلوبهم بعد. وهذا الصنف الأخير من الناس هو أشد ضررا على المطالبين بهذه «العودة» بوجه خاص وعلى الدين الاسلامي بوجه عام، وصدق الله تعالى حين قال: **﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾** ـ سورة الزخرف ـ. وبالفعل لقد حلت ساعة للأمة الاسلامية نتيجة ما أصابها من ضعف ووهن وتفكك واختلاف كثير يظهر لنا أثره جليا في فشل كثير من المؤتمرات المرهقة بالرغم من انعقادها تحت شعار الاسلام. وسوف لا نجانب الصواب إذا قلنا أن أهم ما يمكن ان يجمع بين أفراد الأمة الاسلامية ويجعلها تشعر بشعور متبادل هي عقيدتها الاسلامية وليس الدم المشترك أو القومية التي جنت علينا الويلات بل لم تستطع تأكيد فاعلية الاسلام واثبات قدرته على مواجهة الحضارة الغربية بل ساهمت بدلا من ذلك في اضعاف الثقة في نفوس المؤمنين بهذا الدين وبالله تعالى الشيء الذي نتج عنه قلق واضطراب المسلمين النفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي إلى درجة ان الأمة الاسلامية أصبحت كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

إن نقطة البداية فيما يجب أن تفعله الأمة الاسلامية اليوم إزاء هذا الدين هو ان تبحث فيه من حيث هو دين، فإن ظهر لها جليا انه من عند الله وصالح وقادر على حل مشكلات الحياة، ان استبانت حقيقة ذلك كله، فعليها ان تأخذ به كنظام لحياتها وسلوكها وتفكيرها فورا قبل أن يحل بها غضب من ربها كما حل بالذين من قبلها، يقول الله تعالى في سورة الطلاق: **﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا﴾**. فلم يعد أمام هذه الأمة اليوم سوى طريقة «العودة إلى الله» وتجاوز أقوال السفهاء في هذا الموضوع وإيثار الحياة الباقية على الحياة الفانية. وهذا أمر يتطلب قوة في العلم والايمان وكلاهما عنصران أساسيان لحماية هذا الدين المتمثل في «العودة إلى الله».

وأكتفي بهذا القدر من الحديث عن مفهوم «العودة إلى الله» عندنا وعندهم لأن مفهومها الحقيقي وكما سبقت الاشارة إلى ذلك ـ لا يمكن استكشافه إلا من القرآن الكريم نفسه، لأنه فوق مستوى الغايات والتفاسير البشرية من جهة، ويشتمل على وسائل كفيلة بأن تمدنا بالأسس الحية التي بواسطتها نستطيع فهم الأمور على حقيقتها مثل الأسس العقلية والأخلاقية من جهة أخرى، وبذلك يكون في مقدورنا بناء مجتمع إسلامي عادل مساير للحداثة والعصرنة، ولقد صدق الله تعالى حين قال في سورة الأنفال: **﴿وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** صدق الله العظيم وبالله التوفيق.

● **وأرسل إلينا الأخ: بنيونس الزاكي** تلخيصا لكتابين هما: كتاب **«المحن»** وكتاب **«رسالة المسترشدين»**.

«المحـــن»

تأليف: **أبو العرب التميمي**

تحقيق: **الدكتور يحي وهيب الجبوري**

اقتضت سنة الله في الكون أن يبتلى المؤمنون اختباراً من الله وامتحاناً.

وقد كان رسول الله ﷺ المثل المحتذى في هذا الشأن. فقد ابتلي ﷺ ببلايا شديدة في سبيل نشر الاسلام، ودعوة الناس إلى الدين الذي ارتضاه الله لهم.

ولما كان رسول الله ﷺ قد أيقن أن المهمة التي اصطفاه الله لأدائها إنما تتطلب صبرا طويلا، وسعة صدر للشدائد والأهوال، فقد حرص ﷺ على ترسيخ هذا الخلق القرآني في نفوس صحابته رضوان الله عليهم. وله في هذا الباب أحاديث مأثورة.

المؤلف: نسبه ونشأته:

هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي، من أسرة عربية عريقة بالقيروان. كان منذ صغره محبا للعلم شغوفا به على الرغم من رغبة أسرته في تنشئته نشأة الأمراء، فكان عازفا عن الترف كارها لحياة العلية منذ الصغر.

كان أبو العرب من جلة علماء عصره. وقد أثني عليه وأشيد بعمله وفضله. ذكره القاضي عياض في فقهاء المالكية فقال: كان حافظا لمذهب مالك مفتيا غلب عليه علم الحديث والرجال.

مؤلفاته:

صنف أبو العرب التميمي كتبا كثيرة منها:

1 ـ كتاب طبقات علماء إفريقية.
2 ـ كتاب عباد إفريقية.
3 ـ كتاب سند حديث مالك.
4 ـ كتاب التاريخ.
5 ـ كتاب فضائل مالك.
6 ـ كتاب ثقات المحدثين وضعافهم.

وقد كان وفاة أبي العرب في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (333هـ).

موضـــوع الكتـــاب :

تنـاول الكتـاب البلايا والشدائد التي ابتلي بها السلف الصالح من الصحابة والزهاد والفقهاء والعباد والقـادة والـولاة والمحدثين والقراء، وما لقوه في سبيل نصرة الحق من أصنـاف الـترويع والسجن والتعذيب والتغريب والقتل.

وقد جزأ التميمي - رحمه الله - كتابه خمسة أجزاء جعـل كل جزء في ثلاثـة أو أربعـة فصول، فاستوفى الكتاب ثمانية عشر فصلا.

وقد مهد له بمجموعة أحاديث وردت في المحن، منها ما رواه بسنده عن مصعب ابن سعيد قال: سئل النبي ﷺ: أي النـاس أشـد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينـه صلابـة زيد في بلائه، وإن كان دينه رقة خفف عنـه، ومايزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وماله من خطيئة.

ثم ينتقل المؤلف - رحمه الله - ليعرض بالحديث لمن ابتـلي من خيار هذه الأمـة: بأن قتل أو حبس أو ضرب أو تهدد.

ويستهل التميمي - رحمه الله - هذا القسم بـ: «ذكر مقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكيف أصيب»، فيكثر من استعراض الآثار المروية في ذلك حريصا على عزو كل خبر إلى راويه، متبعا في تأليفه منهج المحدثين في تسمية رجال كل سند.

ويعقد المؤلف - رحمه الله - الجزء الثاني لذكر من قتل يوم الجمل، فيعرض في هذا المبحث لخلق كثير ممن قتلوا، منهم محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. فقد روى التميمي بسنده في خبر مقتله أنه أخذ فضرب عنقـه، ثم بعث برأسـه إلى معاوية، فكان أول رأس طيف به في الاسلام.

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد أفرده لذكر من قتـل من الصحـابـة والتابعين، وذكر من امتحن ومن ضرب، ومن حبس من علماء الناس وأشرافهم وخيارهم.

وقد ساق في الجزء الرابع أخبارا لما نزل ببعض الصحابة من بلايا، من ذلك ما رواه بسنده - في ذكر ما نزل بأبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: «وبلغني عن المبارك بن فضالة عن أبي هريرة قال: رأيت أبا سعيد الخدري محلوق اللحية قال: هذا ما لقيت من ظلمـة أهـل الشام، دخلوا علي زمان الحرة فأخذوا ما كان في البيت من متاع، ثم دخلت علي طائفة أخرى فلم يجدوا في البيت شيئـا فقـالـوا: أضجعوا الشيخ فأضجعوني، فجعل كل واحد يأخذ من لحيتي خصلة، فأنا أتركها حتى أوافي بها ربي».

ويختم التميمي - رحمه الله - كتابه «المحن» بالجزء الخامس، وهو - كسابقيه - غني بالأخبار الدالة على شدة المحن التي ابتلي بها سلفنا الصالح.

وممن ترجم لهم في هذا الجزء طائفة من العلماء الذين ابتلوا بمحنة خلق القرآن وهم خلق كثير. وقد جعل المؤلف هؤلاء العلماء فريقين: «من أجاب بلسانه في المحنة ورأى أن التقية تسعه، ومن تصلب في المحنة ولم يأخـذ بالتقية». وضرب مثلا للفريق الثاني الامام أحمد بن حنبل - رحمه الله - الذي دعي إلى القول بخلق القرآن فامتنع.

وقـد أكثر المؤلف من إيراد الأخبـار المسندة في تجشم الامـام أحمد شدائد الضرب والتعذيب فأفاض الحـديث في صبره واحتسـابـه. روى بسنـده قال: لما ضرب أحمد بن حنبل في الامتحان سئل فقيل له: كيف كان صبرك؟ فقال: لما قدمت إلى الضرب تهيبته، ثم ذكرت بلية أيوب عليه السلام، فسهل علي ولم أجد ما كنت أتخوفه.

وحكى التميمي - رحمه الله - في موضع آخر عن أبي عمران بن موسى قال: «وقد جاءه - يقصد الامام أحمد - عمه وهو بين العقابين - خشبتان يشج الرجل بينهما للجلد - وقد ضرب إلا أنه لم يحل عنه، وقد أرخى أحمد رأسه فقال (القائل العم): يا ابن أخي قل القرآن مخلوق على التقية، فرفع أحمد رأسه وقال له: يا عم، إني عرضت نفسي على الســوط فصبرت، وعرضت نفسي على السيف فصبرت، وعرضت نفسي على النار فلم أصبر».

هذه خلاصـة موجـزة لأجـزاء هذا الكتـاب النفيس. وحري بكل باحث مسلم، متتبع لما ينشر من ذخـائـر تراثنا الاسلامي أن يطلع عليه ليقف على ما صنعـه الايمان في نفوس جهابذة هذه الأمة وخيارها، فهان عليهم ما ابتلوا به من ألوان الترويع والتعذيب، وأصناف الضرب والتنكيل.

«رسالـة المسترشديـن».

تأليف : الحارث المحاسبي

تحقيق : عبد الفتاح أبوغدة

ظلت حاجة الانسان على مر العصور ماسة إلى غذاء الـروح، وتعهـد النفس بالتربية الدينية السليمة ليصفو كدرها، وتنجلي شوائبها.

وقد كان الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم خير من تمثل هذه التربية المثلى اقتداء وتأسيا بمن اصطفاه الله رسولا للبشرية جمعاء: محمد ﷺ.

ولـما كانت النفوس تتجاذبها الخواطر والأهواء، وتنتا بها الغفلة والاغفاء، فقد قيض الله هذه الأمة علماء فرغت قلوبهم من الدنيا فراغ من أيقن أن ليس بينه وبين القبر إلا ساعـة، فألفوا الكتب والرسائل في فضائل الأعمال وتزكيتها، وإصلاح النفس وتنقيتها، ترغيبا وترهيبا.

المـؤلـــف :

هو أبـو عبـد الله الحـارث بن أسد المحاسبي، البصري المـولـد، البـغـدادي المنـزل والـوفاة، الامام العـارف النـاطق بالحكمة، عديم النظر في زمانه ورعا وعلما ومعاملة وحالا، أحد الزهاد المتكلمين في العبادة والمواعظ. وعرف بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه. ولم يعرف تاريخ ولادته، وكانت وفاته ببغداد سنة 243هـ رحمه الله تعالى.

روى الحديث عن زيد بن هارون وطبقته، وأخذ عن الامـام الشـافعي، وروى عنـه خلق كثير منهم: الشيخ الامام الجنيد، وإسماعيل بن اسحاق السراج.

كان رحمـه الله تعـالى ناسكـا عابـدا، وصـوفيا زاهـدا، وفقيها متكلما، وواعظا مبكيا، ومحدثا راويا، أوتي فصـاحـة لسـان، وبراعة بيان، ونصاعة جنان، حتى إذا حدثـك عن الشيء جعلك كأنـك تراه رأي العين، وتحس به احساس المباشر له، ولا ينفصم عنك حديثه إلا وقد أقنعك بالحجة، وألبسك اليقين بما يقول.

مـؤلفـاتـــه :

للامام الحارث المحاسبي مؤلفات كثيرة منها:

1 - الرعاية لحقوق الله عز وجل.
2 - التوهـم.
3 - رسالة الوصايا.
4 - أدب النفوس.
5 - شر المعرفة.
6 - رسالة المراقبة.
7 - القصد والرجوع إلى الله تعالى.
8 - كتاب التفكر والاعتبار.

الكتـــاب :

تقـع رسـالـة المسترشدين في 183 ص - عدا الملحق الـذي أضـافه المحقق والفهارس -. وقد عني بنشره نشرة علمية محققـة الشيخ العـلامة عبد الفتاح أبوغدة، وصدر عند مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب.

وأمـا موضـوع الكتـاب فقـد تنـاول الارشـاد والتوجيه، وتدوين أحوال النفس وتزكيتها وبيان عيوبها.

وقد أودع الحارث المحاسبي - رحمه الله - رسالته هذه غالي النصـح، وأطيب الارشاد، وأوفى الموعظة، وأجلى التنبيه والايقاظ، وأخلص القول والبيان والتوجيه في جمل مكنوزة بالعلم والمعاني.

وقد استهل رسالته بحمد الله تعالى، ثم أعقب ذلـك إشـارة إلى أن الله عز وجـل اصطفى من عباده المومنين، من ذوي الالباب العالمين به وبأمره، فوصفهم بالوفاء والأخلاق الفاضلة والخوف والخشية. ثم نبه إلى أن من هداه الله بأن شرح صدره ووصل التصديق إلى قلبه، ورغب في الوسيلة إليه: لزم منهاج ذوي الألباب

في رعاية حدود الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وما اجتمع عليه المهتدون من الأمة، لأن هذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إليه عباده فقال عز وجل: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه.ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.

ويعرض المحاسبي ـ رحمه الله ـ إلى ما يلزم المسلم معرفته ليكون على بينة من أمر دينه فيقول: «وأعلم أن فريضة كتاب الله: العمل بحكمه من الأمر والنهي، والخوف والرجاء لوعده ووعيده، والايمان بمتشابهه، والاعتبار بقصصه وأمثاله. فإذا أتيت ذلك ـ يقول المحاسبي ـ فقد خرجت من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن عذاب الشك إلى روح اليقين. وإنما يميز ذلك أهل العقل عن الله، الذين عملوا في إحكام الظاهر، وتنزهوا عن الشبه.

وينبه المحاسبي ـ رحمه الله ـ إلى أن جزاء الاعمال ـ ثوابا وعقابا ـ متوقف على نية المكلف إذ العمل يصح بصحتها ويفسد بفسادها.

ويلمس قارىء هذه الرسالة أن المحاسبي ـ رحمه الله ـ قد سبر أغوار النفس فتكشفت له أهواؤها، وتجلت له خواطرها، فطفق ـ بعد طول مجاهدة ومكابدة ـ يقف الناس على عللها، ويصف لهم علاجها.

● وأرسلت إلينا الأخت الدكتورة م ـ م. مقالا بعنوان: «رسالة إلى أختي في الله».

وقبل افساح المجال لمقال الأخت الكريمة، نود أن نشير إلى ملاحظتين:

ـ في مقال الأخت ما يؤخذ ويرد، ولكن تلبية لرغبتها في نشر رسالتها بالكامل، لم نسمح لأنفسنا بالتحوير أو التصرف، إلا ما تقتضيه الضرورة، إيمانا منا بحرية التعبير من جهة، واعطاء فرصة للقارىء والقارئة ليتوليا بأنفسهما مناقشة آرائها في أدب واحترام اسلاميين من جهة، وحرصا على إسماع الصوت الاسلامي للمرأة على صفحات المجلة من جهة أخرى.

ـ لا نريد أن نفتح مواجهة بين الرجل والمرأة، فالاسلام بريء من المواجهة المصطنعة التي تنفخ فيها بعض الأقلام العاقة لدينها وأمتها، ولكن الاسلام يعرف التعاون والتكامل والتناصح والتحاب في الله ﴿والمومنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ التوبة.

«رسالة إلى أختي في الله»

لقد هالني ما سمعت عنك وعن ما يروج عن رغبتك في الحد من طموحك والاكتفاء من الدراسة بما يضمن لك الاطلاع على كتاب الله وسنة رسوله ثم الركون إلى البيت في انتظار زوج المستقبل.

إنني كأخت لك في الله لا أجد مبررا لما سمعت الا أنك قد ضللت الطريق وأنت ترفضين استعمال مامن الله به عليك من ذكاء وقابلية للتعلم وما كرمك به من عقل للمساهمة في تقدم ركب الحضارة الاسلامية، أو على الأقل الوقوف في ثغر من ثغور المسلمين لن يقوم فيه أحد بدلا منك إلا على حساب مبادىء ديننا الحنيف، وذلك كالطب والتعليم والتمريض وكذا كل الميادين التي نطمح أن تكون فيها أطر نسائية تغنينا عن الالتجاء للرجل. وازداد عجبي عند معرفتي أسباب اتخاذك لهذا القرار، فأنت تحتجين بالاختلاط في المدارس والجامعات، ولكنني أسائلك أختي هل الاختلاط حرام على النساء فقط أم على الرجال أيضا؟ إنني إذ أورد هذه المقارنة فلعلمي بأن هذه الفكرة من وحي أخيك الرجل الذي يفضل أن تنزوي أنت داخل المنزل ويتابع هو استكمال تكوينه الثقافي والمهني بحجة الاختلاط الذي أود أن أذكرك أيضا أنه حرام عليه كذلك بزيادة عامل آخر، هو أنه أكثر استجابة لعوامل الفتنة كالعري والتبرج السائدين في المجتمع. فبينما يتعرض هو لرؤية نساء كاسيات عاريات في المدرسة والجامعات وأماكن العمل تجدين نفسك أنت لا ترين في الأماكن ذاتها الا رجالا قد ستروا عوراتهم. ثم إن تحدثت عن فساد الأخلاق والميوعة والمجون التي طغت على العلاقات بين الناس أقول لك أن هذه المعالم ليست حكرا على الرجل الجاهلي.

وانني أختي إذ أقول لك هنا أحاول أن أتصور مجتمعا «إسلاميا» وأتساءل عن وسيلة لبنائه إذا انسحبت كل العناصر الملتزمة بمبادىء الدين من ميادين العلم والتعلم. قد يكون من رأيك أن لا تخرجي لطلب المعرفة إلا في مجتمع اسلامي ولى فيه الاختلاط والتبرج، لكن هل من الممكن إرساء قواعد هذا المجتمع الذي يكفل لك الدراسة والعمل في أوساط نسائية محضة دون العمل على تكوين هذه الأطر النسائية اللازمة في الوقت الحاضر؟

إن ما أحذرك من الوقوع فيه أختي هو التناقض الذي يسيطر على فكر من يستقبح الشيء لنفسه ثم هو يطالب به للاخرين كمن يمنع بناته وزوجته من العلم والعمل، ثم تجده يسأل عن الأطر النسائية لقضاء حاجيات أهله.

أختي في الله، بعد ردي على حجتك الأولى في الانقطاع عن الدراسة أو حتى الاكتفاء بمستويات وشهادات بسيطة مع القدرة على المتابعة، أود أن أتطرق للمبرر الثاني الذي تتمسكين به رافضة إعطاء الحق لنفسك في مناقشته وكأنه مبدأ لا اعتراض عليه. فإعراض الشباب المسلم عن الزواج بمن تفرغت سنين للدراسة حتى تتأهل للقيام بعمل لا غنى للمجتمع الاسلامي عنه بحجة كبر السن والعمل خارج البيت، ظاهرة مرضية عليك أن تستنكريها وتبدين رفضك لها، لا أن تستسلمي لها ولنتائجها. فمحاولاتك للتكيف مع الوضع السائد بعد اعتناق هذه الفكرة من طرف الرجل بالتخلي عن تعليمك وعملك لن يدفعك إلا إلى التردي في مهاوي الجهل والفشل في قيامك بوظيفتك كإنسانة عليها أن تساهم في تكوين وتطوير المجتمع الاسلامي وفق ما وصلت إليه الانسانية من تقدم حضاري وعلمي.

ثم إنك إن سايرت الفكرة وتزوجت من لا يرى لك الحق في الوصول إلى المستويات العلمية والثقافية العليا ويبحث فيك عن مميزات أقل ما يقال عنها أنها تقربك من قطعة من المتاع تشترى وتضاف إلى أثاث البيت، سينحصر دورك في الانجاب والخدمة المنزلية وتبخسين حقك في الاعتراض والمناقشة لما يقرره لك زوجك الذي يرفض أن تفعلي هذا لأنك دونه في المستوى الفكري والثقافي، فهو لم يسع للاقتران بك الا ليكون الآمر الناهي الذي لا يعصى له أمر في البيت.

إنك حتما لن ترضي بهذا الوضع ولن تنهجي هذا السبيل الذي سيسمك بالسلبية ويحدو بك إلى الفشل في القيام بدورك كإنسانة وزوجة وأم تتحمل كامل مسؤوليتها في كل قرار تتخذه مما يهم دينها ودنياها.

وإنني إذ أعجب منك إذ تنمحين من مقاعد الدراسة الأولى خوفا من شبح العنوسة لا أكاد أصدق أنك قد ترفضين فرصا لاستكمال دراستك العليا والحصول على شهادات جامعية عالية رغم تفوقك هروبا من المصير نفسه لأنك قد لا تجدين من يود الاقتران بمن هي في مثل ثقافتك وسنك، وكأن العلم شر يجب الاكتفاء باليسير منه، إن لم يمكن الاستغناء عنه نهائيا. وحجتك في ذلك مثل أخوات لك في الله تسردينها مؤكدة شقاء أولائك الفتيات في عدم الاستقرار العائلي دون زواج رغم كل النجاح المهني والدراسي الذي لاقينه.

أختي: إنني أتوجه إليك أن تحكمي عقلك قبل التسرع في اتخاذ قرار من قبيل الاستسلام لهذه الظاهرة، ظاهرة نبذ العلم والمتعلمين حتى لا تجدي نفسك في بداية عهد جديد من عهود الانحطاط والجهل، في وقت ظننت نفسك فيه أنك قد وليت ظهرك لهاته الصفات باعتناقك لدين كفل حقوقا وواجبات تضمن لك حرية التعلم وحرية التفكير حتى تصلي إلى مستوى الثقة بالنفس وقوة الشخصية وهي خطوة ستمكنك من القدرة على بناء الأجيال الصالحة والمجتمع المتنور.

أختك في الله: الدكتورة: م ـ م.

بيان من المجاهدين الأفغان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

وبعد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة.ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**﴾.

﴿**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً**﴾.

﴿**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله.والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت.فقاتلوا أولياء الشيطان.إن كيد الشيطان كان ضعيفاً**﴾.

إنها مرثاة حزينة وملحمة أسيفة ما شهدت البشرية في العصر الحديث أحداثاً أضخم منها ولا أرزاء أفدح منها. فما الذي أصاب أفغانستان وما هذا الحدث الجلل الذي دوت له أرجاء الهندوكوش وذرى جبال سليمان؟ أحقاً أن الشيوعية الحمراء داست بأقدامها أرض الرازي والبيهقي وابن حبان؟ ﴿**قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون**﴾ سورة ص (67 ـ 68).

مصائب متتالية وأرزاء متوالية والمسلمون كعادتهم يقفون موقف النظارة في كل قضية إسلامية وهم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام.

فما هو الوضع في أفغانستان الآن؟

لا شك أن المجاهدين قد حققوا انتصارات حير العقل البشري تفسيرها ولم يجد كل من عايش القضية الأفغانية إلا الإقرار بربانية المعركة. وهذا الذي دفع بعض الصحفيين والأطباء الغربيين أن يعلنوا إسلامهم كالصحفي الايطالي والطبيب الفرنسي ملسون والطبيبة الفرنسية ايفلين غوي التي أعلنت إسلامها بحضورنا.

وإن القصص العجيبة التي شاهدها المجاهدون لتقصر دونها هذه العجالة،ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب آيات الرحمن في جهاد الأفغان.

- لقد حرر المجاهدون حوالي 90٪ من أراضي أفغانستان.

- إن طريق أفغانستان من الجنوب إلى أقصى نقطة في الشمال على نهر جيحون (آموداريا) مفتوحة أمام المجاهدين وهم ينقلون ذخائرهم على البغال والحمير قد يصل عدادها المئة والمائتين من البغال في رحلة تستغرق شهراً أو شهراً ونصف.

- لقد تخطى المجاهدون الحدود الشمالية لأفغانستان،دخلوا الاتحاد السوفياتي وقاموا بعمليات عسكرية كثيرة في طشقند وعلى بحر الحرر وضربوا مطار ترمذ ودخلوا غابات الفستق عبر بادغيس يتزودون من هذا الفستق.

لقد دخل مولوي عبد الجبار أوز بكستان مرات وقد خلت مدينتا (آقينا وكتاقشلان) من سكانهما داخل الاتحاد السوفياتي بسبب غارات المجاهدين،وقد أغار المجاهدون على مطار (قلعي خم) ودمروا طائرة هوليوكبتر وثلاث طائرات نقل وأحرقوا محطة بنزين.

- لقد سقط للشيوعيين 48 طائرة في شهر أغسطس وسقط لهم في شهر سبتمبر حوالي 60 طائرة ويقابل كل طائرة ساقطة عادة (5 ـ 10 آليات).

لقد قتل في هرات في نصف شهر (من 20 أكتوبر ـ إلى 6 نوفمبر) حوالي 900 روسي وشيوعي ودمر لهم خمسون دبابة ومصفحة.

- وقتل للروس في مزار شريف (بلخ) في معركة واحدة (500) جندي في شهر نوفمبر.

- وفي بانجشير احتل المجاهدون تسعة مراكز وأسروا ثلاثين ضابطاً في شهر نوفمبر،وفي شهر رمضان أسروا (400 جندي، 87) ضابطاً وحاولت روسيا إنقاذهم ولكنهم أبيدوا جميعاً.

ونحن لا نستطيع الاستطراد في سرد التفاصيل.

ولكن ماذا عن المجاهدين؟

- **لقد استشهد معظم القادة والمربين من الرعيل الأول من أبناء الدعوة الاسلامية.**

- **لقدوا فقدوا خيرة أبنائهم وصفوة قادتهم في معارك طاحنة خاصة في هذا العام.**

- **لقد إزدادت هجرة الناس من الداخل إلى باكستان وإيران حتى أصبح عدد المهاجرين في باكستان حوالي 4 ملايين وفي إيران حوالي مليون ونصف.**

وسبب الهجرة المذابح الجماعية التي يقوم بها الروس للأهالي تنفيساً عن أحقادهم وتعويضا عن هزائمهم العسكرية. ولم تنج ولاية واحدة من المذابح مثل مذبحة آجين (ننجرهار) ومذبحة قصاب كلي وعيسى خيل (كندز) وشمس جل (لغمان) وزرغن شهر (لوجر) وزندجان في هرات.

ولقد كثر الاعتداء على أعراض النساء حتى ألقت مجموعة من النساء بأنفسهن في نهر كونر.

- **وازداد الجوع بسبب القحط الذي عم المناطق الغربية مثل هرات وبادغيس بعد تدمير السدود التي تعتد عليه الأرض الزراعية لريها.ولقد صرح القائد محمد إسماعيل القائد العام في الغرب بأننا بعنا ملابس نسائنا من أجل طعام المجاهدين.**

- **لقد هاجر معظم العلماء فرارا بأعراضهم وطمعا في سد رمقهم.**

- **لقد تكالبت الدنيا بأسرها لاحتواء القضية الأفغانية وأخذت الدول الكبرى تحاول أن تمسك بزمام القضية وتقامر عليها وعلى رأسها أمريكا.**

- **هناك 14 حزب سياسياً في باكستان منها 11 ضد المجاهدين.**

- **20 ٪ من الأفغان مصابون بالسل وسبعة بالمائة منها حالات معدية وخطيرة. والملاريا سبعة في المائة والوفيات بين الأطفال مرتفعة والتيفوئيد منتشر.**

- **هنالك 23 مؤسسة صليبية غربية تعمل في بيشاور.**

- **ليس في بيشاور إلا منظمة رسمية واحدة من البلاد الاسلامية وهو الهلال الأحمر السعودي وبعض المؤسسات الشعبية.**

(البقية خلفه)

المحتويات

الاشتراكات

عن عشرة أعـداد

- في دول المغرب العربي :
  - العادي : 50 درهما
  - المؤسسات : 100 درهم
  - التشجيعي : 200 درهم
- في الأقطار الأخرى :
  - العادي : 12 دولارا أمريكيا
  - التشجيعي : 24 دولارا أمريكيا

يرسل الاشتراك باسم مدير المجلة على شكل حوالة بريدية أو على الحساب البريدي P 67 . 22 ـ الرباط .

(تتمة بيان المجاهدين الأفغان)

ـ هنالك 20 كتاباً عن النصرانية بالفارسي والبشتو توزع بين المرضى وقد تنصرت بعض الأسر الأفغانية رغم أنه لا يوجد واحدة ولا مبشر واحد في أفغانستان .

ـ لم يعمل في أرض أفغانستان من العرب إلا طبيبان .

ـ لم يأت طبيب واحد ماهر متمرس من العرب (مختص في الجراحة العامة) وجراحة العظام .

ـ هنالك بعثة طبية فرنسية في بلخ من أربعة سنوات وفي بانجشير ثمان وحدات صحية لهم ويعمل مع الفرنسيين في داخل أفغانستان 116 طبيباً . وللسويديين تسعون عيادة داخل أفغانستان . وأعلن الأمريكيون أنهم أدخلوا في الصيف المنصرم مائتين من الأطباء .

ـ هنالك 120 مدرسة في بيشاور يشرف عليها ممثل الكنيسة الكاثوليكية .

ـ هنالك 25 ألف طفل أفغاني تأخذهم روسيا سنوياً لتربيتهم في روسيا .

● ماذا يريد الأفغان منا؟

ـ يريدون ثمن الخبز فقط . فإذا كان المجاهد يأكل خبزاً بنصف ريال يومياً فهذا يعني أن نصف مليون مسلح في أفغانستان يحتاجون مائتين وخمسون ألف ريال يومياً . ففي الشهر سبعة مليون ونصف ريال . يعني حوالي 2 مليون دولاراً شهرياً فهل يقدم المسلمون هذا المبلغ؟

ـ يريدون الدعاة المحتسبين الذين ينفرون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

ـ يريدون الأطباء المختصين المحتسبين الذين ينفرون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

ـ يريدون الخبراء والمختصين في المجالات الحربية والهندسة والتخطيط .

ـ يريدون المجاهدين الذين يقهرون العوائق ويعيشون بين صفوة الخلائق .

ـ يريدون الصحفي المسلم والكاتب المسلم .

ـ يريدون اللسان الصادق الذي يتحدث باسمهم ويتحرق لآلامهم .

ـ يريدون المحسن المسلم الذي وقى شح نفسه يفتح لهم يده ويشرح لهم صدره ويبذل لهم ثمن الحمار الذي يقلهم إلى أفغانستان وثمن الموتوء الذي ينجون عليه بعد عملياتهم ويبذل لهم السيارة التي تنقلهم المسافات الشاسعة .

ـ يريدون العقول الناضجة وأصحاب الخبرة ليشيروا عليهم كيف يتجاوزون محنتهم الضخمة ويعينونهم على حمل تبعتهم الثقيلة .

ترى فهل يستيقظ المسلمون قبل فوات الأوان؟

أم ينتظرون حتى يبتلعها التنين كما ابتلع غيرها من بلاد الاسلام .

﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليمًا ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ ألا هل بلغنا اللهم فاشهد .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .